جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
الدراسات العليا
قسم الأديان والمذاهب

يعقوب عليه السلام
بين القرآن الكريم والعهد القديم

إعداد
د. ناصر محمد السيد إسماعيل
مدرس بقسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

ملخص البحث:

وقد جاء في هذا البحث تصوير القران الكريم لشخصية سيدنا يعقوب عليه السلام بداية من البشارة به لسيدنا إبراهيم عليه السلام والسيدة سارة، وكيف شرف الله سيدنا يعقوب عليه السلام بداية من البشارة به لسيدنا إبراهيم عليه السلام بانضمامه إلى كوكبة الأنبياء، كما تحدث أيضًا عن إتيانه بيت المقدس وابتلاء الله ـ عز وجل ـ له بفقد ولده سيدنا يوسف عليه السلام ، ثم بفقد بينامين، ثم تفضل الله عليه بلقائهما، ثم وضح البحث عدم عصمة أبناء الأنبياء، كما اشتمل على الحديث عن سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ في العهد القديم وبعض الحقائق التي تتعلق به، وعن بعض الأمور التي تتعلق بعيسو (أخي يعقوب) ، ثم تناول البحث عن خرافات العهد القديم، وخاصة فيما يتعلق بالوحي الإلهي وأوهام البشر، والصور السيئة التي قدمها العهد القديم لسيدنا يعقوب عليه السلام، حيث وجود الأصنام، وإثبات الزنا ... إلخ ، ثم أبرز البحث محاسن الإسلام واحترامه للأنبياء ـ عليهم السلام ـ وتعظيم مقام النبوة.

الكلمات الدالة:

يعقوب-القران الكريم-العهد القديم

مقدمة

الحمد لله، المتفضل على عباده بما لا يقع تحت حد الحصر من النعم والآلاء، وأعظم نعمه على عباده إرسال الرسل وإنزال الكتب، فلو أن الخلق بحثوا، ما وجدوا أجل من نعمة الهداية، التى لا يستقيم بدونها سير الحياة، وصلى الله وسلم وبارك على أنبياء الله ورسله الأبرار الأطهار، رجال الله، الذين حملوا دين الله وبلغوه، وصبروا لأمر الله حتى يقضى الله بينهم وبين قومهم، صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى رسولنا إمام الورى، ومسك الختام، أزكى صلاة وسلام، ورضى الله تعالى عن خيرة الخلق بعد نبيه، الذين عاشوا لله وماتوا لله، اللهم ارض عنهم أجمعين وعنا معهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد

فإن مما يتضافر عليه العقل والمنطق والشرع، أن قوما يختارهم الله ويصطفيهم ليكونوا الأدلاء عليه، وحملة شرعه إلى الناس، طبيعى أن يبلغوا الكمال المأذون به لبنى آدم، وأن يكونوا فوق مستوى العاديين من الناس، ولو كانوا يقعون فيما يقع فيه الناس، ولو كانوا عارين مما ينبغي لهم من كرم الأصل ونبل الطبع، وسمو الخلق، لما كانوا موضع القدوة، ولما استحقوا أن يكونوا الأدلاء على الله.

وإذا كان الناس – فيما هو معروف بالاستقراء – يقرؤون فى طفولة البعض مستقبلا مشرقا، واستعدادا للتميز والإنجاز، وكثيرا ما يصدق هذا الحدس لشىء من التميز يتفردون به عن أترابهم، فكيف يكون الأمر فى حق من أخبرنا الحق أنهم صفوته وصنعته واختياره، والوسطاء بينه –سبحانه– وبين الناس؟!

لقد سقط الفكر اليهودى سقطة من أشنع سقطاته، حينما افترض نفى العصمة عن أنبياء الله ورسله، بل حط من أقدارهم، ونسبهم إلى ما يعافه سَقَطَةُ الناس.

وهذا أمر غير مستبعد على العقول المترعة بالشهوات، والأيدى الملوثة بالتبديل والتغيير فى كلام الله، وإنما يُستَنكر ويُنعَى أن يُنسب هذا الزور إلى الله تعالى.

فى الصفحات التالية مقارنة بين تصور القرآن الكريم للكريم ابن الكريم ابن الكريم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم جميعا الصلاة والسلام، وبين تصور العهد القديم ليعقوب عليه السلام.

والحامل على عرض التصور اليهودي ليعقوب عليه السلام؛ أن هذا التصور ينهض كقاعدة وبنية أساسية للتعاطي اليهودي مع جميع قضاياهم، فالعقلية اليهودية التي تصورت يعقوب عليه السلام، هي التي اختارته علما على الكيان الآثم الذي قام بين ظهرانينا.

كما أنها هي العقلية التي نتعامل معها – رضينا أم أبينا– في مناقشة قضايانا، وحقوقنا المستباحة، ولا يخفى أهمية عرض هذه الرؤية حتى يستبين لكل مهتم القاعدةُ التي ينطلق منها اليهود في تصورنا، والتعامل معنا.

ومعلوم أن الفكر هو حادي السلوك، كما أن قطاعا عريضا من المتعاملين مع القضية الفلسطينية يتجاهلون تماما الخلفية الفكرية الدينية اليهودية، ويتعاملون مع القضية من منظور سياسي بحت، وهو وإن كان يشفّ في النهاية عن الأغراض اليهودية، إلا أنه يُغفل تماما أهم جوانب تلك القضية المزمنة.

وفي ظني أن كل من يتجاهل البعد الديني في علاج تلك القضية إما جاهل يتعاطى ما لا يُحسنه، أو مُغرض يضع قناعا على أعين الناس حتى لا يروا الأحداث والأشخاص على حقائقهم.

منهج البحث:

أستعين بالله تعالى في معالجة هذا الموضوع من خلال الاستفادة من إجراءات أساليب البحث التالية:

المنهج الاستردادي:

تقع علوم الأديان ضمن نطاق البحث الأكاديمي للمنهج الاستردادي أو التاريخي، لما تحتاجه معالجتها من استعادة الأحداث في زمانها ومكانها والأوساط المحيطة لها اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا.

والمنهج الاستردادي أو التاريخي (يعتمد على استرداد ما كان في الماضي، ليتحقق من مجرى الأحداث، والتحليل القوي للمشكلات التي صاغت الحاضر) (١) (وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية)(٢).

المنهج التحليلي:

ويعني القدرة على تحليل الموضوع إلى عناصره الأولية وتحديد الأخطاء المنطقية في المعارف.. كما يهدف كذلك إلى الوقوف على العلاقات بين الحقائق أو الفرضيات أو الاستنتاجات) (٣)، وقوام هذا الأسلوب البحثي التعرف على جزئيات الظاهرة أو موضوع البحث مما يمكن من تحديد التفاعل بينه وبين نتائجه) (٤).

المنهج النقدي:

ينهض القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كمرجعية أولى نحاكم إليها عقائد الآخرين ومذاهبهم الفكرية، قال الله تعالى ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾ (٥)إلا أن غير المسلمين في محاجتنا لهم لا يقبلون هذه المرجعية، ولذا كان لزاما العودة إلى ما يتفقون

---

(١) د/ محمد زيان عمر– البحث العلمي مناهجه وتقنياته صـ٣٢–ط–١٣٩٤هـ=١٩٧٤م–جدة–السعودية.

(٢) د/عبد الرحمن بدوي– مناهج البحث العلمي صـ٦٨–ط–١٩٦٣م– دار النهضة العربية– القاهرة–مصر.

(٣) منظمة العمل العربية– ورقة عمل بعنوان "التجربة الأردنية في إعداد المعايير المهنية) مؤسسة التدريب المهني– إعداد مدير البرامج والاختبارات المهندس صالح حرب– بتصرف– ٢٧: ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٦م– القاهرة– مصر.

(٤) www.arlamani.org/vol-4/anthropology-4/zar/zar2-htm

(٥) سورة المائدة من آية :٤٨

معنا عليه وهو المنطق والتجربة، مع استنارتنا بمعطيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ولا يخفى أن حجج القرآن والسنة حجج عقلية في المقام الأول.

إن الوسائل المستخدمة في المنهج والتفسير النقدي (هي التجربة والمنطق، وكذا مستوى رفيع من الإمكانيات العقلية يتطلبها التفسير النقدي؛ لأنه ينطوي بالضرورة على حكم شخصي مبني على الأسباب المنطقية ويستند إلى التعليل المقبول والمعقول...ويتميز الأسلوب النقدي في المعالجة بثلاث خصائص أساسية هي:

١-أن يقوم الجدل على حقائق ومبادئ معروفة في المجال الذي أجريت فيه الدراسة أو على الأقل يتفق معها.

٢-أن تكون الحجج واضحة ومعقولة، والتعميمات والاستنتاجات مستنبطة منطقيا، والخطوات التي قادت إلى هذه الاستنتاجات سهلة البرهان من الوقائع والمقدمات.

٣-أن يكون الرأي الاستنتاجي للباحث مبنيا على الحقائق والبيانات المقبولة في مجال البحث ومدعومة بالمنطق والبرهان)(١).

وسوف أستعين بالله تعالى مجتهدا لتطبيق هذه الميزات السالف التنويه بها.

كما أن اعتمادي سيكون بعد الله تعالى على القرآن الكريم والعهد القديم، وهما منتجعنا في هذه المعالجة، مع التفسيرات والشروح.

والله أسأل أن يوفقني ويأخذ بيدي إليه أخذ الكرام عليه، هو سبحانه ولي كل خير ونعمة.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

ناصر محمد السيد إسماعيل
مدرس الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية
قسم الأديان والمذاهب

---

(١) ساسي سفيان–المنهج النقدي في استخدام الأسلوب العلمي www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=28330

تمهيد:

إذا كنا بصدد الحديث عن أمر يتعلق بالنبوة والرسالة، فلا شك أن الوقوف على المعاني اللغوية والاصطلاحية لهاتين الكلمتين يضع أطرا وحدودا نتحاكم نحن وغيرنا إليها، ونزن في ضوئها تصور كل منا للنبوة والرسالة، فنقف – في ضوء المنطق والعقل الرشيد والإنسانية المتزنة– على أي الفريقين أقوم فكرا وأهدى سبيلا.

تعريف النبوة لغة واصطلاحا:

أولا: النبوة والرسالة لغة:

الجذر اللغوي لكلمة "النبوة" هو الفعلُ: نَبَأَ، والنّبأُ: الخبر، يقال: نَبَأَ ونَبّأ وأنبأ: أخبر، ومنه النبيُّ لأنه أنبأ عن الله، وهو فعيل بمعنى فاعل... والنَّبْوَةُ والنَّبَاوةُ: ما ارتفع من الأرض، فإن جعلت النبيَّ مأخوذا منه، أي أنه شرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز وهو هنا فعيل بمعنى مفعول(١)) (٢).

فالكلمة لغة تعني الإخبار والإعلام بأمر ما، وتعني أيضا الارتفاع والعلو.

وجاء في المعجم الوسيط(النبوءة: ... تُبدل الهمزة واوا وتُدغم فيقال: النُّبوّة. والنُّبوَّة: الإخبار عن الشيء قبل وقته حَزْرا وتخمينا. والنبيءُ: المخبر عن الله عز وجل وتبدل الهمزة ياء تدغم فيقال: النَّبِيّ. والنَّبِيء: المكان المرتفع الناشز(٣)، وعليه يكون النبي هو (المُعلَّى رفيع المنزلة والتحقيق أن هذا المعنى داخل في الأول فمن أنبأه الله وجعله مُنَبَّأً عنه فلا يكون إلا رفيع القدر عليا) (٤).

والرسول لغة مأخوذ من (الإرسال وهو التوجيه... وهو مَن يُتابع أخبار من أرسله، وهذا من قولهم: جاءت الإبل رَسَلا أي متتابعة(٥).وعليه فالرسول لغة: من تتابع عليه الوحي، أو مُن عُني بالتوجيه.

كلمة النبي في العبرية:

كلمة "نبي" من (الألفاظ المنتشرة في كثير من اللغات السامية... ويبدو من انتشارها أنها كلمة سامية أصيلة، إلا أن معناها في العبرية لا يخلو من غموض أدى إلى اختلاف العلماء في تفسيرها، فالكلمة في العبرية مشتقة من جذر ثلاثي غير مستخدم وله أكثر من معنى يرد بمعنى "تنبأ" و"تحدث كنبي" ويأتي أيضا بمعنى

---

(١) يميل الإمام ابن تيمية إلى أن فعيل بمعنى مفعول "فهو نبي الله سواء أنبأ بذلك غيره أو لم ينبئه، فالذي صار به النبي نبيا أن يُنبئه الله. الإمام ابن تيمية– النبوات صـ١٧٧– ١٣٨٦هـ– المطبعة السلفية– القاهرة– مصر.

(٢) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي– مختار الصحاح صـ٥٦٥، ٥٦٧ بتصرف–طبعة مدققة– ١٩٨٩م–مكتبة لبنان– بيروت–لبنان.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون صـ٨٩٦–الطبعة الرابعة–مكتبة الشروق الدولية– القاهرة– مصر.

(٤) الإمام ابن تيمية– النبوات صـ٣٣١. مرجع سابق.

(٥) ابن منظور– لسان العرب جـ١١ صـ٢٨١ – الطبعة الأولى–دت–دار صادر–بيروت –لبنان.

"يتغنى بترانيم أو أناشيد دينية كما لو كان مُقادا بواسطة روح إلهية، وفي نفس هذا المعنى يأخذ هذا الفعل معنى "يسبح الله" وهناك جذور لغوية أخرى لهذا الفعل تأتي بمعنى "تنبأ" "أنشد" "أصبح مجنونا" وهو معنى يصف النبي وهو في حالة انجذاب تحركه روح الله فلا يتحكم في سلوكه وربما يأتي بأفعال غير معقولة، ويحدد بعض الدارسين هذا المعنى الأخير على أنه خاص بالأنبياء الكذبة...

وقيل إن الكلمة كانت تستخدم للإشارة إلى جماعات دينية متعصبة، وأن هذا المعنى قد عدل فيما بعد ليطلق على الأنبياء... ومن الآراء القوية الذي يعتبر "الإنباء و"الإعلان" أو "الإخبار" هو المعنى الأساسي في كلمة نبي، وأن فكرة الانجذاب فرضت فرضا على المعنى الأصلي وهو "الإخبار"... فالنبي هو الشخص الذي يتحدث أو يخبر أو المنبئ بمساعدة القوة الإلهية وبلسانها...

والنبي اصطلاحا عندهم: رجل أحس بأنه مدعو من الله لأداء مهمة خاصة تكون فيها إرادته خاضعة تماما لإرادة الله التي يتعرف عليها من خلال الوحي أو الإلهام المباشر(١).

وتجدر الإشارة إلى أن التشابه في كثير من المفردات بين اللغات السامية وعلى رأسها اللغة العربية ومنها اللغة العبرية أمر مقرر من قِبَلِ علماء الساميات(٢).

الخلط بين الأدعياء وبين الأنبياء الحقيقيين:

يظهر هذا الخلط واضحا جليا من خلال نصوص تصف أنبياء معتمدين عند بني إسرائيل بوصف رديٍّ، أو نسبة أفعال السحر والكهانة والعرافة إليهم، والنصوص التالية تؤكد هذا المعنى:

١-جاء في سفر هوشع: "أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له"(٣).

إنها طريقة غير مقبولة للتعبير عن حالة الفساد التي عمت الأرض، وصف أهل الأرض بالزنا، ووصف الذرية المستقبلة أيضا بأبناء الزنا، هل هذا وحي إلهي؟ أم موتور يسب ويقذف من أوجعوه؟!!!

---

[1] د. محمد خليفة حسن- ظاهرة النبوة الإسرائيلية طبيعتها تاريخها الموقف الإسلامي منها صـ٢٥: ٢٧ بتصرف-دط-١٤١٢هـ=١٩٩١م- دار الزهراء للنشر- القاهرة-مصر.

[2] وقد أفردت مبحثا لهذه المسألة في الفصل الأول من رسالتي للحصول على درجة العالمية الدكتوراه من كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة سنة٢٠٠٤م، والرسالة بعنوان "شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية دراسة نقدية" وكان في إطار الكلام عن قواعد عامة في الرد على شبهات المستشرقين. ومن هذه الشبهات الزعم بنقل الإسلام عن اليهودية والنصرانية بدلالة التشابه اللفظي بين بعض مفردات العبادات الإسلامية مع نظائرها في اليهودية.

[3] الإصحاح الأول: ٢: ٤.

ولنيمم وجوهنا شطر القرآن الكريم، الذي عبر عن حالة البعد عن الله، قال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (١). هذا التعبير الكريم الذي يصف حالة من البعد عن الله، وعقوبتها، والهدف من هذه العقوبة، وهو عودة الناس إلى ربهم سبحانه وتعالى.
(واستمر هوشع يتردى في طريق الزانيات، حيث كان نبوءته التالية تفرض عليه عشق امرأة متزوجة برجل يحبها، لكنها تخونه وتزني بآخرين حتى يأتي هوشع ويخطفها من تحت رجلها) (٢). والنص الذي يؤكد هذا المعنى هو "وقال الرب لي اذهب أيضا احبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب"(٣)، إن هذه النصوص التي تحمل تصريحا وتلميحا جنسيا واضحا ولا يخفى محال أن تكون نصوصا مقدسة.
٣-هناك نص في سفر صموئيل الأول لو وضعتُ له عنوانا فسيكون "مهرجان النبوة العجيب" وها هو النص:" فهرب داود ونجا وجاء إلى صموئيل في الرّامة وأخبره بكل ما عمل به شاول وذهب هو وصموئيل وأقاما في نايوت فأُخبر شاول وقيل له هو ذا داود في نايوت في الرامة، فأرسل شاول رسلا لأخذ داود ولما رأوا جماعة الأنبياء يتنبأون وصموئيل واقفا رئيسا عليهم كان روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم أيضا، وأخبروا شاول فأرسل رسلا آخرين فتنبأوا هم أيضا، ثم عادل شاول فأرسل رسلا ثالثة فتنبأوا هم أيضا، فذهب هو أيضا إلى الرامة وجاء إلى البئر العظيمة التي عند سيخو وسأل وقال أين صموئيل وداود، فقيل ها هما في نايوت في الرامة. فذهب إلى هناك إلى نايوت في الرامة فكان عليه أيضا روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى نايوت في الرامة فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الله، لذلك يقولون أشاول أيضا بين الأنبياء"(٤).
وفي أسعد الأحوال وأحسنها تأويلا يمكن اعتبار النبوة هنا شيئا يشبه المعجزة التي تظهر للبعض كحجة وبرهان لأنبياء الله ورسله، والواقع أنها فوضى العقل البشري وافتراؤه على أنبياء الله ورسله.
٣-وفي النص السابق أيضا ما يُظهر الأنبياء في صورة المشعوذين والسحرة :" فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الله، لذلك يقولون أشاول أيضا بين الأنبياء"(٥).

---

(١) سورة الروم: ٤١.

(٢) أحمد عبد الوهاب- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام صـ٢٢ مرجع سابق.

(٣) هوشع ٣: ١.

(٤)صموئيل الأول: ١٩ ١٨: ٢٤. يلاحظ بعض الخلاف بين طبعة دار الكتاب المقدس بالقاهرة والتي نقلت عنها في الأصل وبين طبعة الرهبانية اليسوعية، ومن هذه الخلافات "أشاول أيضا من الأنبياء"في طبعة الرهبانية اليسوعية، بدلا من "أشاول أيضا بين الأنبياء" ولا شك أن المعنى مختلف تماما، لا سيما إذا وضعنا في الحسبان تمحل هؤلاء القوم لتغيير المعنى ولو بتغيير حرف واحد.

(٥)صموئيل الأول: ١٩ - ٢٤.

٤-وتتعزز صورة الخرافة فيما يتعلق بالنبوة والأنبياء عند بني إسرائيل من خلال النظر في النص التالي: "وتأكل كعكا من الشعير على الخُرءِ الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم، وقال الرب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم، فقلت آه يا سيد الرب ها نفسي لم تتنجس ومن صباي إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة ولا دخل فمي لحم نجس، فقال لي: انظر قد جعلت لك خِثْيَ البقر بدل خُرءِ الإنسان فتصنع خبزك عليه"(١).

ومن خلال النظر في النصوص السابقة يظهر إلصاق الكبائر بأنبياء الله، وممارستهم لطقوس وشعائر غريبة أثناء تنبؤهم.

ثانيا: النبوة والرسالة اصطلاحا:

النبوة اصطلاحا هي: (اصطفاء إلهي، وهذا الاصطفاء والاختيار مِنّةٌ إلهية امتن الله بها على الأنبياء والمرسلين، فلم يصلوا إليها بكسب ولا جهد، ولا كانت ثمرة لعمل أو رياضة للنفس قاموا بها) (٢). قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾(٣)

والرسالة اصطلاحا: سفارة بين الله عز وجل وبين ذوي العقول لإزاحة عللها(٤).

النبي والرسول والفرق بينهما:

هناك آراء كثيرة، ومحاولات متعددة لإبراز الفرق بين النبي والرسول فقد(قيل: لا فرق بينهما، وقيل: الرسول أخص من النبي لأن كل رسول نبي من غير عكس. وقيل: الرسول الذي معه كتاب، والنبي الذي ينبئ عن الله وإن لم يكن معه كتاب. كذا قال جماعة من المفسرين، وأُورِد عليه أن لوطا وإسماعيل وأيوب ويونس وهارون كانوا مرسلين، كما ورد في التنزيل، ولم يكونوا أصحاب كتب مستقلة.

وقيل: الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، والنبي: من بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام...

وقيل: الرسول من يأتيه الملك بالوحي عيانا ومشافهة "، والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام. وقيل: إن الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه، والنبي: هو الذي يرى في منامه.

---

(١) حزقيال ٤ ١٢: ١٥.

(٢) يزعم الضُّلال من الفلاسفة. حيث ذهبوا إلى أن النبوة مكتسبة وأن من هذب نفسه بالخلوة والعبادة وأخلى نفسه عن الشواغل العائقة عن المشاهدة، وراض نفسه وهذبها، تهيأ للنبوة. الأصل والهامش يُنظر: عبد الرءوف محمد عثمان- محبة الرسول بين الاتباع والابتداع صـ٢٦- الطبعة الأولى-١٤١٤هـ-رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض-السعودية.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٤) أي علل العقول.

وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد)(١)، وأرجح الأقوال في الفرق بين النبي والرسول ما يلي:

(١–أن النبي من نبأه الله بشرع سابق ينذر به أهل ذلك الشرع، وقد يؤمر بتبليغ بعض الأوامر في قضية معينة، أو الوصايا والمواعظ وذلك كأنبياء بني إسرائيل إذ كانوا على شريعة التوراة، ولم يأت أحد منهم بشرع جديد ناسخ للتوراة، فتكون منزلته حينئذ بمنزلة المجدد لتعاليم الرسل السابقين.

أما الرسول فهو من بعثه الله بشرع وأمره بتبليغه إلى من خالفوا أوامره، وسواء كان هذا الشرع جديدا في نفسه أو بالنسبة لمن بعث إليهم، وربما أتى بنسخ بعض أحكام شريعة من قبله) (٢).

٢–أن النبي هو من أُوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين، والرسول: من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله، وعليه فالنبي لا يُخاطب الكفار ولا يُرسَلُ إليهم، وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين(٣).

فالنبوة والرسالة في الجملة سفارة بين الباري سبحانه وبين خلقه، يُنزل لهم على لسان أنبيائه ورسله ميزان الحق، وسنن العدل، وقواعد الهداية، ومناهج الرشد. قال الله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾(٤)، وقال جل جلاله ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾(٥).

وهذا يدفعنا إلى الحديث بإيجاز عن حاجة البشر إلى الأنبياء، فنستطيع أن نحاكم الصورة المرسومة لأنبياء الله ورسله في العهد القديم، خاصة ما نحن بصدد الحديث عنه وهو يعقوب عليه السلام، وهل تتوافق هذه الصورة المرسومة مع حاجة البشرية من أنبياء الله ورسله؟

حاجة البشر إلى الأنبياء:

لقد ارتفعت أصوات قديمة(٦) وحديثة تنكر حاجة الإنسانية إلى النبوة والرسالة، فلماذا تحتاج الإنسانية إلى الأنبياء والمرسلين؟

---

(١) أبو هلال العسكري – معجم الفروق اللغوية صـ٣٦٤، ٣٦٥ بتصرف.

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع صـ١٥ بتصرف– مرجع سابق.

(٣) نُخبة من العلماء– أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة صـ٢٠١، ٢٠٢ بتصرف– الطبعة الأولى–١٤٢١هـ–وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد–الرياض– السعودية.

(٤) سورة البقرة: ٢١٣.

(٥) سورة الحديد:٢٥.

(٦)ومنهم البراهمة الهنود في القديم والحديث. ينظر الملل والنحل للشهرستاني جـ٣ صـ٧٠٦ وما بعدها– تحقيق أ/أحمد فهمي محمد–الطبعة الثانية–١٤١٣هـ=١٩٩٢م– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان.

إن (وجه حاجة البشر إلى هداية الأنبياء عليهم السلام.. أن موضوع رسالتهم... ثلاثة أمور لا تستقل معارفهم المكتسبة بحواسهم وعقولهم بها، ولا يُذعنون فيها إلا لأمر ربهم وخالقهم، وهي:
أحدها: الإيمان بالغيب، ورأسه توحيد الله وصفاته وآياته الدالة على كماله وتنزهه عن النقص، وما يجب من عبادته و شُكره وذكره الذي هو أعلى ما تتزكى به النفس وتتطهر من أدران مساويها(١)، وتصل إلى الكمال المستعدة له بفطرتها، ويليها الإيمان بملائكته وما يُناط بهم من الوحي والنظام في الخلق والأمر... وبما أخبر به الأنبياء من أمر عالم الغيب (الجن والشياطين)....
ثانيها: ما يجب اعتقاده من البعث بعد الموت والحساب والجزاء... وهو أكبر البواعث.. على اتباع ما شرعه...
ثالثها: وضع حدود وأصول للأعمال التشريعية.. والتي لا مجال للآراء والأهواء فيها؛ لتكون جامعة للكلمة، مانعة من التفرقة، متبعة في السر والعلانية.
وجملة القول أن تهذيب البشر بالدين مبني على الإيمان بالغيب، والوقوف فيه عند خبر الأنبياء عليهم السلام، ولا يمكن تهذيبهم بالعلوم المادية الكسبية وحدها) (٢).
إن الإنسانية الآن في عنفوان تقدمها التقني تقف عاجزة عن تفسير أهون الأشياء حدوثا(٣)، وإن العجز الإنساني يزداد كلما ازداد معرفة وتقدما، وصدق الله العظيم ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(٤) وكما قيل: نحن نعرف كيف تحدث الأشياء ولا نعرف لماذا تحدث الأشياء، وعلم ذلك عند الخالق سبحانه الذي استأثر لذاته بما شاء، ولو أننا قلبنا صفحات التاريخ الإنساني، لوجدنا صفحات كثيرة مضرجة بالدماء والعنف جرّاء اختلاف الأهواء، وتضارب المصالح، والأنا المستعلية هنا أو هناك، مما

---

(١) ومهما جرب الخلق من سبل الرفاهية والراحة فإنها ستظل وسائل شديدة القصور، ولحظة يتواصل فيها العبد مع خالقه وبارئه هي من لحظات السعادة التامة والمتعة الكاملة والاسترواح اللامحدود، وقد تحول العالم العاق الآن إلى المعالجة بسماع القرآن الكريم في كثير من دور الاستشفاء في العالم. واستخدام الوضوء على الطريقة الإسلامية كوسيلة من وسائل إزالة التوتر، ولتحقيق السكينة والهدوء.

(٢) السيد محمد رشيد رضا- الوحي المحمدي صـ٨٥، ٨٦ بتصرف-الطبعة الثالثة مصححة صدرت سنة ١٤٠٦هـ-مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر- بيروت- لبنان.

(٣) قال العلامه الفلكى (كاميل فلامريون) فى كتابه "القوى الطبيعيه المجهوله" (نرانا نفكر ولكن ما هو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يُجيب على هذا السؤال. ونرانا نمشى ولكن ما هو العمل العضلي؟ لا يعرف أحد ذلك. أرى أن إرادتي قوة غير ماديه وأن جميع خصائص نفسي غير ماديه أيضا، ومع ذلك فمتى أردت أن أرفع ذراعي أرى أن إرادتى تُحرك مادتي فكيف يحدث ذالك! وما هو الوسيط الذي يتوسط للقوة العقلية فى إنتاج نتيجه المادة، لا يوجد من يستطيع أن يجيبني عن هذا أيضا بل قل لى: كيف ينقل العصب البصري صور الأشياء إلى العقل؟ وقل لي كيف يدرك العقل هذا؟ وأين مستقره؟ وما هي طبيعة العمل المخى قولوا لي أيها السادة (الملحدين) .. ولكن كفى كفي فأنى أستطيع أن أسألكم عشر سنين، ولا يستطيع
أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتي. يُنظر http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=2066

(٤) سورة الروم: ٦، ٧.

يؤكد أن احتكام الخلق إلى عقولهم مَفْسدة مطلقة، وواقع العالم الآن من دوران الكون في فلك القوة الأولى في العالم: دوران نفاق، أو دوران ضعف وخنوع، واستكبار هذه القوة في الأرض، وتصنيفها الخلق كما تشاء بين عدو وصديق، وحُسْن وقُبح، هذا الواقع يؤكد بكل يقين سقوط دعاوى الذين أرادوا أن تُدار الأرض بأمهات عقول البشر.

وإنا لننادي بأعلى صوت، صوت العقل المدعوم بآلاف الآلاف من الشواهد والأدلة على أنه لا يصلح هذا الكون إلا ربه، ولا هداية كاملة إلا هداية الوحي السالم عن تحريفات البشر وأهوائهم.

خصوصية التصور الإسلامي للأنبياء والمرسلين:

في معالجة لهذه المسألة لا بد من وضع ركيزتين أساسيتين:

١-انتخب الله تعالى لنا من سير المرسلين ما يمثل قدوة حسنة ونورا على طريق الهداية، وكل إشارة خلقية في حياة نبي أو رسول إنما هي حكاية للمثل الأعلى في حياة جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين، هذا بالإضافة إلى ما ميز الله تعالى به بعض أنبيائه ورسله مما لم يشركهم فيه أحد من إخوانهم، أو بزوا فيه إخوانهم من المرسلين، كالخلة لإبراهيم عليه السلام، والملك الذي لا ينبغي لأحد غير سليمان، والكلام لموسى عليه السلام، والجمال ليوسف عليه السلام، وختم النبوة والأفضلية على سائر الخلق للمصطفى صلى الله عليه وسلم.

٢-من الأمور التي يدعمها الشرع والعقل أن الأنبياء والمرسلين اصطفاء إلهي خاص، فهم متميزون خَلْقا وخُلُقا، بالإضافة إلى ما يؤيدهم الله تعالى به من المعجزات، ومن ثم فلا يمكن أن يخفى أمر الرسول على الناس، بل يظهر فيهم ظهورا واضحا لا مرية فيه، ولعل الحديث التالي يؤكد هذا المعنى:

عن المغيرة بن شعبة قال : إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني كنت أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: "يا أبا الحكم هلم إلى الله عز وجل، وإلى رسوله أدعوك إلى الله " قال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت، فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق ما اتبعتك. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علي، فقال: فوالله إني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن بني قصي، قالوا: فينا الحجابة فقلنا: نعم، فقالوا: فينا الندوة فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء فقلنا: نعم، قالوا: فينا السقاية فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب، قالوا: منا نبي. والله لا أفعل"(١).

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي- جماع أبواب المبعث باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز جـ٢ صـ١٠٧- تحقيق د.عبد المعطي قلعجي- الطبعة الأولى-١٤٠٨هـ=١٩٨٨م-دار الكتب العلمية- دار الريان للتراث.

وعن معاوية رضى الله عنه قال:"خرج أبو سفيان إلى بادية له مردفا هندا، وخرجت أسير أمامها، وأنا غلام على حمارة لي، إذ لحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو سفيان: انزل يا معاوية حتى يركب محمد، فنزلت عن الحمارة، فركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسار أمامهما هنيهة، ثم التفت إليهما، فقال: "يا أبا سفيان بن حرب، ويا هند بنت عتبة، والله لتموتن ثم لتبعثن، ثم ليدخلن المحسن الجنة، والمسيء النار، وإن ما أقول لكم حق، وإنكم أول من أنذر" ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ قالتا أتينا طائعين ، فقال له أبو سفيان : أفرغت يا محمد؟ قال: "نعم"، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمارة ، وركبتها ، فأقبلت هند على أبي سفيان ، فقالت : ألهذا الساحر الكذاب أنزلت ابني ؟ قال : والله ما هو بساحر ولا كذاب(١).

وهناك روايات كثيرة في هذا الصدد، والقرآن الكريم أعظم دليل على هذا، يقول الباري جل شأنه (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (٢)، أي لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر... ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم) (٣).

وقال تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)(٤)، والقريتان: مكة والطائف، وعظيم مكة بزعمهم الوليد بن المغيرة، وعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي) (٥). فليس الإنكار لقدح في رسول الله ولا في آيات الله، وإنما دفعتهم معاييرهم الفاسدة، وعصبيتهم المقيتة إلى إنكار ما يرونه حقه حتى لا يثبتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عليهم.

ويمكن تلخيص التصور الإسلامي في ضوء القرآن والسنة للأنبياء والرسل في النقاط التالية:

١-النبوة اصطفاء إلهي وليست كسبا، قال الله تعالى (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)(٦). وقال تعالى (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)(٧). وقال تعالى (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(٨).

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني حديث رقم ٦٦١٥ جـ٦ صـ٣٦١- تحقيق طارق عوض الله الحسيني- دط-١٤١٥هـ-دار الحرمين- القاهرة- مصر.

(٢) سورة الأنعام: ٣٣.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٢٥١-تحقيق سامي سلامة- الطبعة الثانية- ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م-دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٤) سورة الزخرف:٣١.

(٥) تفسير القرطبي جـ١٦ صـ٨٣ بتصرف- تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- الطبعة الثانية- ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م- دار الكتب المصرية- القاهرة- مصر.

(٦) سورة طه: ١٣.

(٧) سورة طه: ٣٩.

(٨) سورة الأنعام: ١٢٤.

وقال تعالى: (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)(١).

٢-الأنبياء مع كونهم صفوة الخالق، صنعهم على عينه، وفضلهم على سائر الخلق إلا أنهم لم يخرجوا عن نطاق بشريتهم قال تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ)(٢).

٣-لم تخل أمة من الأمم من نذير يدلهم على الله تعالى (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (٣). وقال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٤).

٤-محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٥).

وعن الزهري، سمع محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:" أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي"(٦).

٥-لا يملك الأنبياء والمرسلون جلب نفع أو دفع ضر أو اطلاعا على الغيب بمعزل عن مشيئة الله تعالى، قال تعالى (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(٧)، وقوله تعالى (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (٨). وقال تعالى (عالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (٩). فلا سلطان لأحد غير الله في الكون، لقد كان من الأمور المشْكِلة ما قام به اليهودي من سحر النبي صلى الله عليه وسلم كما صح بذلك الحديث، وكان السؤال الملح: كيف يحدث هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

---

(١) سورة الحج: ٧٥.

(٢) سورة الكهف: ١١٠.

(٣) سورة فاطر: ٢٤.

(٤) سورة النحل: ٣٦.

(٥) سورة الأحزاب:٤٠.

(٦) صحيح مسلم- كتاب الفضائل- باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٤٤٤٦.

(٧) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٨) سورة يونس: ٤٩.

(٩) سورة الجن: ٢٦، ٢٧.

من هو، ويرى الباحث: أن في ذلك قطعا لتوجه الخلق لأحد غير الله تعالى، حتى لأسعد الخلق وحبيب الحق وأكرم خلق الله على الله تعالى. (١).

٦-ليس لنبي ولا لرسول أن يأتي بشيء من عند نفسه؛ يدينُ الناسُ به، إنما هو مبلغ عن الله جل جلاله، قال تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(٢). وقال تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينِ)(٣). وقال جل جلاله (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ) (٤).

٧-أنبياء الله ورسله هم المثل الأعلى لكمال الخُلُق، ولنطالع الآيات الكريمات التالية:

قال الله تعالى ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٥)، (أي لا أنهاكم عن شيء، وأخالف أنا في السر فأفعله خفية) (٦)، فهو القدوة والمثل الأعلى في ترك ما نَهَى عنه، وفعلِ ما أَمَر به.

ومن المواقف الرائعة في هذا الصدد ما سجله القرآن الكريم ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٧).

وقال تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٨).

---

(١)عن عائشة، رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: "يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب ، قال: من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان " فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال: "يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين" قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: "قد عافاني الله ، فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا " فأمر بها فدفنت. صحيح البخاري- كتاب الطب-باب السحر حديث ٥٤٣٨.

(٢) سورة النجم: ٣، ٤.

(٣) سورة الحاقة: ٤٤: ٤٦.

(٤) سورة الرعد:٣٨.

(٥) سورة هود ٨٨.

(٦) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٣٤٤ مرجع سابق.

(٧) سورة الأعراف، ٦٠: ٦٣.

(٨) سورة الأعراف ٦٦: ٦٩.

فهنا تطاول وتعدٍ، ورمي بالضلال والسفه، ولكن يأتي الرد العجيب من النبيين الكريمين على تطاول قومهما عليهما، ورميهما لهما بالضلال والسفه، الرد بكل بساطة، وبكل سمو وترفع، نَفْي الضلال والسفه عن نفسيهما، ونسبة ما يدعون الناس إليه إلى رسالة رب العالمين، وواجب تبليغ هذه الرسالة، وإمعانا في حسن الظن بقومهما يفترض النبيان الكريمان أن سوء أدب القوم ربما كان له مسوغ من غرابة الموقف والدعوة، فأي لطف وأي سمو وأي خلق؟ ولا عجب فهؤلاء صفوة الخلق، وقدوة الناس، وخلاصة الإنسانية الكريمة.

هذه إلماحة سريعة في ضوء بعض الآيات والأحاديث عن التصور الإسلامي لأنبياء الله ورسله فهم نماذج الخير والقدوة والمثل الأعلى في الطهر والنقاء والذكاء والفطنة والصدق والأمانة.

يقول الأستاذ العقاد: (نمت في الإسلام فكرة النبوة كما نمت(١) فيه الفكرة الإلهية، فبرئت هذه الرسالة السماوية من شوائبها الغليظة التي لصقت بها عقائد الأقدمين من أتباع الديانات الوثنية والديانات الكتابية، وخلصت من بقايا السحر والكهانة كما خلصت من شعوذة الإيهام الخيالي وبدوات(٢). الجنون الذي كانوا يسمونه قديما

بالجنون المقدس؛ لاعتقادهم أن المصابين به يخلطون هذيانهم بوحي الأرواح العلوية التي تستولي عليهم، ونمت نبوة الإسلام نماءها الأوفى حين خلصت من دعوى الخوارق والمغيبات، وهي(٣) آية النبوة الكبرى في عرف الأقدمين(٤).

محاربة الإسلام للغلو في حق الأنبياء والمرسلين:

كان الناس ولا يزالون حديثا يغلون في شأن الموصوفين بالعظمة من البشر؛ فيضفون عليهم من الصفات والأحوال ما لا حَظَّ له من الواقع، أو يرْبو عليه أضعافا، فكيف إذا كان الحال مع من خَصَّهم الله بالكمال الإنساني من أنبيائه ورسله، ولذا حرص ﷺ على أن يُحصّن أمته ضد هذا الداء الذي سقط فيه كثيرون.

ففي الحديث الشريف عن ابن عباس، سمع عمر ﷺ، يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: "لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله"(٥).

---

(١) المقصود بالنماء هنا: الانتشار والظهور، وليس ما قد يتبادر إلى ذهن البعض من نسبة القول بتطور الدين إلى الأستاذ العقاد عليه رحمة الله.

(٢) بَدَوات: جمع بَدَاء. إسماعيل بن حماد الجوهري- الصحاح في اللغة جـ١ صـ٣٥ - الطبعة الرابعة-١٩٩٠م-دار العلم للملايين- بيروت-لبنان. والمقصود بها هنا مظاهر الجنون.

(٣) أي الخوارق والمغيبات.

(٤) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية- المجلد الخامس بحوث إسلامية صـ٧٠-الطبعة الأولى- ١٩٧١م=١٣٩١هـ- دار الكتاب العربي - بيروت- لبنان.

(٥) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ حديث:٣٢٦١ جـ٣ صـ١٢٧١-تحقيق مصطفى ديب البغا- الطبعة الثالثة- ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م-دار ابن كثير- اليمامة- بيروت.

وعن ابن شهاب، قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، أن أم العلاء، امرأة من الأنصار بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: "وما يدريك أن الله قد أكرمه؟ " فقلت : بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: "أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري، وأنا رسول الله ما يفعل بي(١)." قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا"(٢).

والمقصود هنا: قطع التفات عقول الناس وقلوبهم إلى أحد غير الله تعالى، وإعلام الناس بأن القيومية على الخلق، وعلم الغيب لله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾(٣).

وحينما كُسفت الشمس يوم وفاة إبراهيم بن رسول الله ﷺ إذا بالناس يربطون بين موت إبراهيم عليه السلام وبين هذه الظاهرة الكونية، فوقف ﷺ يُعلم الناس أن الظواهر الكونية من شمس وقمر وغيرهما من آيات الله تجريان بأمر الله، وأن واجب المسلم في تبدل الأحوال وتغيرها أن يضرع إلى الله تعالى بالصلاة والذكر.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كَسَفَتْ الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كَسَفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله"(٤).

يقول الأستاذ العقاد (فلو كان ﷺ من الرسل الذين يتصيدون الخوارق أو ينكرونها لأنهم لا يستطيعون أن يَدَّعوها، لما كلفته هذه الخارقة إلا أن يسكت عنها، فلا يدعيها ولا ينكرها، ولكنه لم ينس في ساعة حزنه أمانة الهداية للمؤمنين بدينه، وبادرهم لساعتها مُذَكِّرا لهم بآيات الله... وما نحسب أن النبوة تعظم بكرامة قط أكرم لها من التوكيد بعد التوكيد في القرآن الكريم بتمحيص هذه الرسالة السماوية لهداية الضمائر والعقول

---

(١) قال الإمام ابن حجر: والمحفوظ في رواية الليث...ما يُفعل به، أي بعثمان رضي الله عنه... وإنما قال رسول الله ﷺ ذلك موافقة لقوله تعالى في سورة الأحقاف ﴿ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ﴾.فتح الباري جـ٣ صـ١١٥-تحقيق محب الدين الخطيب-دط-دت-دار المعرفة- بيروت. وقال بدر الدين العيني: يُحتمل أن يكون قبل إعلامه بالغفران له، أو يكون المعنى: ما يُفعل بي في أمر الدنيا مما يصيبهم فيها". عمدة القاري جـ٨ صـ١٦-دط-دت- دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه - حديث:١١٨٦- جـ١ صـ٤١٩ مرجع سابق.

(٣) سورة الجن: ٢٦: ٢٨.

(٤) صحيح البخاري -كتاب الكسوف باب الصلاة في كسوف الشمس حديث رقم ٩٩٦ جـ١ صـ٣٥٤ مرجع سابق.

غير مشروطة بما غبر في الأوهام من قيام النبوة كلها على دعوى الخوارق والإنباء بالمغيبات، ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾(١).(٢).

بهذه الفكرة الرشيدة عن النبوة يُفرق الإسلام بين طريقين شاسعتين في تاريخ الأديان: طريق موغلة في القدم تنحدر إلى مهد النبوات الوثنية حيث تشتبك العبادة بالسحر والكهانة، ثم تتقدم في خطوات وئيدة يلتقي فيها الخبل باليقظة، وتختلط فيها الخرافة بالإلهام الصادق والموعظة الحسنة، وطريق تليها موغلة في المستقبل، يفتتحها صاحب النبوة الأخيرة، فيعلن أنه يفند السحر والكهانة، ويُزري بقداسة الجنون، أو جنون القداسة، ويروّض بصيرة الإنسان على قبول الهداية وإن لم تروضها له روعة الخوارق ودهشة الغيب المجهول؛ لأنه يروض البصيرة الإنسانية على أن تنظر وتبصر)(٣).

التصور اليهودي للنبوة:

حددت اليهودية بتجسيداتها بُعدا واحدا للإنسان وهو البُعد المادي – الذهب والغريزة– وعلى أساس هذا التحديد كانت تتحرك نظرة اليهود إلى الأنبياء، فابتعدوا عن السماء وتكاليف الغيب غاية الابتعاد) (٤).

جاء في قاموس الكتاب المقدس: أن النبي (هو من يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره، دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجة عنه– قوة الله عند المسيحيين والعبرانيين والمسلمين، وقوة الآلهة المتعددة عند عباد الأصنام الوثنين. وقد عُرفت النبوات المزيفة، أي أنبياء الآلهة الوثنية، معظم أتباع تلك الآلهة من عباد الأصنام، مثل الآشوريين والكلدانيين والمصريين والفينيقيين واليونان والرومان، وكان الكهنة كثيراً ما يقومون بالنبوة بطرق مختلفة. وكان الناس يؤمنون بكلامهم ويستشيرونهم في كل أمور حياتهم. وعليهم كانت تتوقف الفتوحات العسكرية والقرارات السياسية. وكانوا كالعرافين والمنجمين ومدعي الغيب اليوم.

وعنت النبوة عند اليهود الإخبار عن الله وخفايا مقاصده، وعن الأمور المستقبلية ومصير الشعوب والمدن، والأقدار، بوحي خاص من الله على فم أنبيائه المصطفين، وعرف العهد القديم عددا كبيرا من الأنبياء، وكان

---

(١) سورة يونس: ٢٠.

(٢) موسوعة العقاد– المجلد الخامس بحوث إسلامية صـ٧١ بتصرف. مرجع سابق.

(٣) أ/ عباس محمود العقاد– حقائق الإسلام وأباطيل خصومه صـ٤٧، ٤٨ بتصرف– الطبعة الرابعة–٢٠٠٥م– دار نهضة مصر– القاهرة– مصر.

(٤) عباس أحمد شحادي– الولاية والمفهوم الأخلاقي في نظرية الحكم الإسلامي صـ٧٥– العدد التاسع – ربيع الثاني ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م– مجلة فصلية فكرية متخصصة– بيروت– لبنان.

محور نبواتهم عن مجيء المسيح، وعن التمهيد لمجيئه، وعن الشريعة الموسوية ومصير اليهود والشعوب المتعاملة معهم والمجاورة لهم) (١).

فعلى الرغم من تحرى أصحاب قاموس الكتاب المقدس تصوير أنبياء بني إسرائيل بشكل لائق، إلا أنهم لم يسعهم أن ينفوا عنهم أخص خصائص الأنبياء عند بني إسرائيل، تلك الخاصية التي حولت مهمة الأنبياء إلى شيء يشبه العرافة والكهانة، وهي حقيقة يؤكدها تصوير الأنبياء في العهد القديم، في حين يُهَمّش دورهم في الهداية جدا بالقياس إلى دور العرافة والكهانة.

(والمطلع على الكتب المأثورة بين بني إسرائيل يتبين منها أنهم آمنوا بهذه النبوات جميعا، وأنهم بعد ارتقائهم إلى الإيمان بالنبوة الإلهية ما زالوا يخلطون بين مطالب السحر والتنجيم ومطالب الهداية، ويجعلون الاطلاع على المغيبات امتحانا لصدق النبي في دعواه أصدق وألزم من كل امتحان، ولم يرتفع أكبر أنبيائهم ورسلهم عن مطلب الاتجار بالكشف عن المغيبات والاشتغال في التنجيم) (٢).

ويصدق هذا أن النبي في بني إسرائيل كان يُسمّى "الرّائي" وهو اسم يحصر مهمة الرسول كما يرونها هم، ويبدو أن التسمية بـ"النبي" جاءت بعد اختلاطهم بالعرب فيما بعد.

يذكر الأستاذ العقاد أن قبائل العبرانيين (قد تعلمت النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب، ولم تكن لهذه الكلمة عند العبريين لفظة تؤديها قبل وفودهم على أرض كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين في أرض مدين... فكانوا يسمون النبي بالرائي أو الناظر أو رجل الله، ولم يطلقوا عليه اسم النبي إلا بعد معرفتهم بأربعة من أنبياء العرب المذكورين في التوراة وهم "ملكي صادق" و"أيوب" و"بلعام" و"شعيب" الذي يسمونه "يثرون"... ومن علماء الأديان الغربيين الذين ذهبوا إلى اقتباس العبريين كلمة النبوة من العرب الأستاذ "هولشر"Holscher والأستاذ شميدت Schmidt اللذان يرجحان أن الكلمة دخلت في اللغة العبرية بعد وفود القوم على فلسطين) (٣).

فكلمة النبي – كما أكد هذا كثير من الباحثين– لفظة عربية (لأن المعنى الذي تؤديه لا تجمعه كلمة واحدة في اللغات الأخرى، فهي تجمع معاني الكشف والوحي والإنباء بالغيب والإنذار بالتبشير، وهي معان متفرقة تؤديها اللغات الحديثة بكلمات متعددة، فالكشف مثلا تؤديه في اللغة الإنجليزيةRevelation والوحي تؤديه كلمة Inspiration واستطلاع الغيب تؤديه كلمة Divination أو Oracle ولا تجتمع كلها في معنى "النبوة" كما تجتمع في هذه الكلمة باللغة العربية.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس شرح كلمي نبي، نبوة أنبياء –نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين تحرير د بطرس عبد الملك وآخران . دار الثقافة . دار الجيل . ١٩٩٤م

(٢) موسوعة العقاد جـ٥ صـ٧٥ مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق جـ٥ صـ٧٤، ٧٥ بتصرف.

وقد وجدت كلمة "النبوة" في اللغة العربية غير مستعارة من معنى آخر؛ لأن اللغة العربية غنية بكلمات العرافة والعيافة والكهانة، وما إليها من الكلمات التي لا تلتبس في اللسان العربي بمعنى النبوة، كما تلتبس في الألسنة الأخرى عن أصل التسمية واشتقاق المعاني الجديدة عن الألفاظ القديمة، فكلمة النبي تدل على معنى واحد لا تدل على غيره خلافا لأمثالها من الكلمات في كثير من اللغات. وقد استعار العبريون كلمة "النبي" من العرب في شمال شبه الجزيرة العربية بعد اتصالهم بهم؛ لأنهم كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين بالآباء، وكانوا يسمون المطلع على الغيب بعد ذلك باسم الرائي أو الناظر، ولم يفهموا من كلمة "النبوة" في مبدأ الأمر إلا معنى الإنذار. وأما كلمة Prophet الإنجليزية وكلمة Prophete الفرنسية وكلمة profeten الألمانية وغيرها، فإنها منقولة عن اليونانية القديمة، ذلك أن الأمم التي كان تشيع فيها نبوءة الجذب، يكثر أن يكون مع المجذوب مفسر يدعي العلم بمغزى كلامه ولحن رموزه وإشاراته، وقد كانوا في اليونان يسمون المجذوب مانتي Manti ويسمون المفسر Prophet أي المتكلم عن غيره، ومن هذه الكلمة نقل الأوربيون كلمة "النبوءة" بجميع معانيها) (١).

ومجمل القول أن نظرة اليهود إلى أنبيائهم نظرة العرافة والكهانة، واستكناه مجاهيل الغيب لدفع الشرور عن بني إسرائيل، بالإضافة إلى نفي العصمة عنهم، بل ونسبة أرذل الأعمال إليهم، ومهما حاول باحثون نفي هذه التهمة عن أنفسهم، فسوف يظل العهد القديم نفسه أكبر شاهد ودليل على ما ندعيه، وفي الصفحات التالية نموذج واضح لا يخفى ولا يمكن أن يخفى، كل ما يستطيعه الغيورون على كتابهم المقدس مُحاولة تأويل المخازي بشكل أو بآخر كما سوف نقف على بعض نماذجه في طيات البحث.

---

(١) د/ محمد بيومي مهران- بنو إسرائيل جـ٥ النبوة والأنبياء صـ٢٩، ٣٠ بتصرف-دط- ١٩٩٩م- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- مصر.

المبحث الأول

تصور القرآن الكريم ليعقوب عليه السلام

بشارة الله تعالى لسارة رضى الله عنها بيعقوب عليه السلام:

يظهر يعقوب مع أبيه إسحاق عليهما السلام فى الذكر الحكيم وعلى مشهد الحياة الإنسانية كبشارة ونعمة وبرد وسلام على قلب سارة رضى الله عنها، إذ بشرها الحق سبحانه وتعالى؛ أنها وبعد الصبر الجميل، ومع انعدام أسباب الإنجاب –حسب ما جرت به عادة الناس– سوف يهبها الله تعالى بطلاقة قدرته وقيوميته على خلقه إسحاق، ومن بعد إسحاق يعقوب، قال الحق سبحانه ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (١). فإسحاق ويعقوب عليهما السلام يمثلان تطبيقا عمليا لطلاقة قدرة الله، الذى يحكم الكون بقوانين أودعها سبحانه فيه، ولكن هذه القوانين تحكم الكون ولا تحكم رب الكون سبحانه، فهو قادر على أن يغيرها، ويبدلها ولا تعجزه.

(وإذا أراد الله – لحكمة يريدها وهي هنا رحمته بأهل هذا البيت وبركاته– يقع ما يخالف العادة، مع وقوعه وفق السنة الإلهية التي لا نعلم حدودها، ولا نحكم عليها بما تجري به العادة في أمد هو على كل حال محدود، ونحن لا نستقرئ جميع الحوادث في الوجود.

والذين يقيدون مشيئة الله بما يعرفونه من نواميس لا يعرفون حقيقة الألوهية كما يقررها الله سبحانه في كتابه ... وحتى الذين يقيدون مشيئة الله بما يقرره سبحانه أنه ناموسه لا يدركون حقيقة الألوهية كذلك! فمشيئة الله سبحانه طليقة وراء ما قرره من نواميس... نعم إن الله يُجري هذا الكون وفق النواميس التي قدرها له ... ولكن هذا شيء والقول بتقيد إرادته بهذه النواميس بعد وجودها شيء آخر! إن الناموس يجري وينفذ بقدر من الله في كل مرة ينفذ فيها. فهو لا يجري ولا ينفذ آلياً. فإذا قَدّر الله في مرة أن يجري الناموس بصورة أخرى غير التي جرى بها في مرات سابقة كان ما قدره الله، ولم يقف الناموس في وجه القدر الجديد)(٢).

ومن هنا نقف على ذلكم التشريف الإلهى ليعقوب عليه السلام متمثلا فى هذه البشارة الجليلة به قبل أن يولد بعشرات السنين، وفى هذا ما فيه من الحفاوة والتكريم ورفع القدر والذكر، وهكذا يظهر يعقوب عليه السلام كما يصور القرآن الكريم رحمة مزجاة، ونعمة مسداة للخليل عليه السلام والسيدة سارة رضى الله عنها.

---

(١) سورة هود: ٧١: ٧٣.

(٢) أ/سيد قطب– فى ظلال القرآن جـ٤ صـ٢٥٤.

يعقوب ﷺ مع كوكبة الأنبياء:

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١)، وصح الحديث عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال آدم . قلت يا رسول الله ونبي كان ؟ قال نعم نبي مكلم . قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال ثلاثمائة وبضع عشر جما غفيرا.

وفي رواية عن أبي أمامة قال أبو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء ؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا(٢).

ومن بين هذه الأعداد الكبيرة من أنبياء الله ورسله، اختص الله عز وجل خمسة وعشرين نبيا ورسولا للذكر فى القرآن الكريم، ومن بينهم يعقوب ﷺ، ولا شك أن هؤلاء الأنبياء والمرسلين خلاصة الهدى الإلهى من آدم ﷺ وإلى أن تقوم الساعة.

وقد اختار الله تعالى لنا من معالم الهدى فى حياة يعقوب ﷺ ما يظل لبنات نورانية فى بناء الصلاح والتقوى والخيرية فى كيان هذه الأمة.

يعقوب عليه السلام نجما هاديا في مسار الدعوة الإسلامية:

ومن آيات القرآن التى تظهر لنا يعقوب ﷺ نجما هاديا فى مسار الدعوات الإلهية من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم:

<u>الآية الأولى</u>: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة النساء: ١٦٤.

(٢) رواية أبى أمامة ﷺ فى المستدرك على الصحيحين جـ٢ صـ٢٨٨ حديث رقم ٣٠٣٩ كتاب التفسير باب من تفسير سورة البقرة. وأورده ابن حبان فى صحيحه جزءا من حديث طويل كتاب البر والإحسان باب ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص فى العقبى بشيء منها جـ٢ صـ٧٦ حديث رقم٣٦١ وصححه الشيخ الألبانى فى مشكاة المصابيح جـ٣ حديث رقم ٥٧٣٧.

(٣) سورة البقرة: ١٣٥: ١٣٨.

(٤) سورة آل عمران: ٨٤: ٨٥.

(تلك الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعاً، وبين الرسل جميعاً، هي قاعدة التصور الإسلامي وهي التي تجعل من الأمة المسلمة، الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة في الدرب على هدى ونور. والتي تجعل من النظام الإسلامي النظام العالمي الذي يملك الجميعُ الحياةَ في ظله دون تعصب ولا اضطهاد. والتي تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعاً مفتوحاً للناس جميعاً في مودة وسلام) (١).

وفى الآيات مسائل منها:

أولا: أن اسم اليهودية والنصرانية ليس اسما لدين الله تعالى، وإنما دين الله الذى جاءت به جماعات الأنبياء والمرسلين هو الإسلام، ملة إبراهيم حنيفا.

ثانيا: وجوب الإيمان بالله وبما أنزله على من قامت الدلالة على نبوته دون تفريق بين أحد منهم.

ثالثا:أن الهداية فى اتباع منهج الأنبياء والمرسلين، والتولى عنه شقاق ومحاربة لله تعالى.

رابعا: قال الزمخشرى رحمه الله تعالى: كان النصارى – ولا يزالون– يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون هو تطهير لهم، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم... صَبَغَنَا الله بالإيمان صِبْغَةً لا مِثْلَ صبغتنا، وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون: صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم(٢).

فالإسلام هو صبغة الله، وصيغة التعايش بين بنى آدم، ومن جاء بغيره فلن يقبل الله منه صرفا ولا عدلا.

الآية الثانية: قال تعالى:﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣).

وفى هذه الآيات مسائل:

أولا: وحدة الوحى الإلهى لأنبياء الله ورسله، والحق أن كل رسالة نبى اشتملت على جانبين: جانب العقيدة، وجانب الشريعة، أما جانب العقيدة فواحد لا يتغير، وذلك لتعلقه بمن لا تطرأ عليه الغِيَرُ سبحانه وتعالى،

---

(١) أ/ سيد قطب– في ظلال القرآن جـ١ صـ١١٨–دط–دت–دار الشروق– القاهرة– مصر.

(٢) الزمخشرى– الكشاف جـ١ صـ٢٢٢ بتصرف.

(٣) سورة النساء ١٦٣: ١٦٥.

ولتعلقه أيضا بعوالم الغيب التى لا يطرأ عليها تغيير، قال المعصوم ﷺ :"أنا أَوْلَى الناس بِعِيسَى بن مَرْيَمَ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"(١).

قال الإمام ابن حجر: (ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع)(٢)، وأصول الشرائع وأركانها الأساسية واحدة لا تختلف، ففى كل شريعة صلاة وزكاة وصيام وحج ومعاملات وغير ذلك مما يمثل محاور أساسية فى كل رسالة، ولكن تختلف مقررات بعض الرسالات عن بعض لتتناسب مع أحوال الناس زمانا ومكانا.

ثانيا: أن الله تعالى اختص بالذكر من بين أنبيائه ورسله طائفة، وزوى عنا أخبار الباقين لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى.

ثالثا: أن الحكمة من إرسال الرسل البشارة والنذارة لكى لا يكون لأحد على الله تعالى حجة.

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٣).

وفى هذه الآيات مسائل، منها:

أولا: تشريف الله إبراهيم عليه السلام بأبوته لعدد كبير من أنبياء الله ورسله.

ثانيا: لا محاباة فى حكم الله تعالى، فمن أشرك حبط عمله، ومن مدّ يده ممسكا حبل هداية الدلالة، أرخى الله له حبل هداية المعونة، واجتمع له بذلك هدايات الفطرة والدلالة والمعونة.

ثالثا: يشير الحق سبحانه وتعالى إلى واجب الاهتداء بهدى منارات الهدى الذين اصطفاهم الله واجتباهم واختارهم وشرفهم وفضلهم على جميع الخلق.

وفى كل ما سبق يبرز يعقوب عليه السلام طريقا لاحبا في أرض النور، ونجما هاديا فى سماء الهداية الإلهية.

---

(١) صحيح البخارى كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: "واذكر فى الكتاب مريم..." والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه جـ٣ صـ١٢٦٧ حديث رقم ٣٢٥٩.

(٢) فتح البارى جـ٦ صـ٤٨٩.

(٣) سورة الأنعام ٨٣: ٩٠.

شرف النسب وشراكة الدعوة:

ليس لدينا – فى القرآن الكريم والسنة المطهرة– تفصيلات عن حياة يعقوب ﷺ طفلا صغيرا وصبيا وشابا، ولكننا نستطيع أن نتخيل ما يمكن أن يكون عليه مَن جَدُّه خليل الرحمن وأبوه إسحاق ﷺ، وأنبت الله منه رسولا وهو يوسف ﷺ، وخصه الله بالثناء الحسن والذكر الكريم فى القرآن العظيم، يمكننا أن نتخيل طهر الحياة، وما يجللها من أَلِفِهَا إلى يائها من بركات الله ورحماته وفيوضاته وعطاءاته.

والقرآن الكريم يعطينا صورة لتلك العائلة النورانية، العائلة التى – فى أحرج لحظات حياتها– لا تتواصى بالمال ولا العقار ولا جواذب الأرض، وإنما تتواصى بالحق والصبر عليه، تتواصى بالتوحيد، الذى تعيش به وتعيش له وتدعو إليه الناس، وهذه آيات القرآن تصور لنا مشهدا من تلك الحياة، يقول الحق سبحانه :

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

(إن هذا المشهد بين يعقوب وبنيه في لحظة الموت والاحتضار لمشهد عظيم الدلالة ، قوي الإيحاء، عميق التأثير . ميت يحتضر. فما هي القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ ما هو الشاغل الذي يعني خاطره وهو في سكرات الموت؟ ما هو الأمر الجلل الذي يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه؟ ما هي التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه ويحرص على سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر، يسجل فيه كل التفصيلات؟ . . إنها العقيدة. . هي التركة. وهي الذخر. وهي القضية الكبرى، وهي الشغل الشاغل، وهي الأمر الجلل، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وصرعاته: ﴿ ما تعبدون من بعدي؟ ﴾ . . هذا هو الأمر الذي جمعتكم من أجله. وهذه هي القضية التي أردت الاطمئنان عليها. وهذه هي الأمانة والذخر والتراث. . ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ . . إنهم يعرفون دينهم ويذكرونه . إنهم يتسلمون التراث ويصونونه) (٢).

إن المسلم على يقين من أن الحق سبحانه وتعالى اصطفى لهذه الأمة من ألوان الهداية والتوجيه من سير الأنبياء والمرسلين ما يمثل المنهج القويم والصراط المستقيم لهذه الأمة، فليس هناك تعارض بين أنبياء الله ورسله، إن خط الرسالات السماوية واحد من آدم ﷺ وإلى رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة البقرة ١٣٢: ١٣٤.

(٢) فى ظلال القرآن جـ١ صـ٩٠– مرجع سابق.

زين الحق سبحانه وتعالى تاريخ يعقوب عليه السلام بأن افتتح ذكره فى القرآن الكريم بجعله صنوا لجده أبى الأنبياء وخليل الرحمن فى الدعوة إلى الحنيفية السمحاء، واتخاذها طريقا ومنهجا يعيش بها ويموت عليها ويدعو الناس إليها. والضمير فى قوله تعالى ﴿ ووصَّى بها ﴾ يعود إلى ملة إبراهيم عليه السلام التى امتدحها الحق سبحانه وسَفَّهَ من يرغب عنها.

قال الإمام ابن كثير (وقوله: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أي: وصى بهذه الملة وهي الإسلام لله [أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله: ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم؛ كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ . وقد قرأ بعض السلف "ويعقوبَ" بالنصب عطفًا على بنيه، كأن إبراهيم وصى بنيه وابن ابنه يعقوب بن إسحاق وكان حاضرًا ذلك) (١).

وقد استبعد الإمام القرطبى فيما نقله عن الإمام القشيرى أن يكون يعقوب عليه السلام حضر جده إبراهيم عليه السلام، وذكر أن الخليل عليه السلام مات قبل ميلاد يعقوب عليه السلام (٢)، والحق أن تخصيص يعقوب عليه السلام من بين أبناء إسحاق عليه السلام بالذكر إشارة إلى خصوصيته عليه السلام من بين إخوانه، ليس فى مكانته فحسب، بل فى إقرار عين إبراهيم عليه السلام برؤية عقب عقبه.

قال الإمام ابن كثير تعقيبا على رأى القشيرى (ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح؛ والظاهر، والله أعلم، أن إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة؛ لأن البشارة وقعت بهما ... فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة، وأيضًا فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٣). وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾(٤). وهذا يقتضي أنه وجد في حياته، وأيضًا فإنه باني بيت المقدس، كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة) (٥).

وآيات القرآن الكريم تسعفنا لفظا ومعنى بما لا يخفى، يقول الحق سبحانه:﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (٦).

---

(١) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ١ صـ٤٤٥– تحقيق سامى بن محمد سلامة– ط٢ –١٤٢٠هـ–١٩٩٩.

(٢) ينظر: تفسير الإمام القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ٢ صـ١٣٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٢٧.

(٤) سورة الأنبياء: ٧٢.

(٥) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ١ صـ٤٤٦.

(٦) سورة مريم ٤٩، ٥٠.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١). ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٢).

وسواء كان يعقوب عليه السلام مخصوصا بالوصية بالملة الحنيفية، أم كان المقصود أنه سار على درب جده إبراهيم عليه السلام فى وصية أبنائه بها وهو على فراش الموت، فهى منقبة عظيمة، ورتبة جليلة أن يكون الدين هو القضية الأولى فى حياة الإنسان، ونحن مخاطبون بهذا فى شخص يعقوب عليه السلام وبنيه، فالواجب أن يكون الدين قضيتنا التى نعيش بها ولها، ونلقى الله عليها.

يعقوب عليه السلام بانى بيت المقدس:

هل يعقوب عليه السلام هو الذى بنى بيت المقدس؟ من العلماء من رجح هذا الأمر، واستدلوا بالحديث النبوى الشريف عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلَ قال الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قال قلت ثُمَّ أَيٌّ قال الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى قلت كَمْ كان بَيْنَهُمَا قال أَرْبَعُونَ سَنَةً ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فإن الْفَضْلَ فيه"(٣).

وبناء على معطيات هذا الحديث الشريف رجح بعض العلماء أن يعقوب عليه السلام هو بانى المسجد الأقصى بعد بناء الخليل عليه السلام المسجد الحرام بأربعين عاما، وعليه فسليمان عليه السلام أعاد تجديد المسجد الأقصى، ولم يبتدأ بناءه، وذهب آخرون إلى أن آدم عليه السلام هو الذى بنى البيت الحرام، وبعده المسجد الأقصى بأربعين عاما، ثم ما كان بعد ذلك إنما هو إعادة بناء أو تجديد(٤).

يعقوب ويوسف عليهما السلام:

إذا كان تأويل الرؤيا نورا يقذفه الله تعالى فى قلب من يشاء من عباده، فأنبياء الله تعالى ورسله أولى بهذا، وإن كان يوسف الصديق عليه السلام أظهر من اشتهر بهذا.

ويحدثنا القرآن الكريم عن يعقوب عليه السلام وهو يعبر رؤيا ابنه سيدنا يوسف عليه السلام ويعلم هذه الأمة أدبا من آداب التعامل مع الرؤيا، يقول الحق سبحانه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٧.

(٢) سورة ص: ٤٥: ٤٧.

(٣) صحيح البخارى كتاب الأنبياء باب يزفون النسلان فى المشى حديث رقم ٣١٨٦- جـ٣ صـ١٢٣١.

(٤) ينظر: الإمام ابن حجر- فتح البارى جـ٦ صـ٤٠٩ بتصرف. وينظر أيضا: عمدة القارى جـ١٥ صـ٢٦٢.

عَدُوٌّ مُبِينٌ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

فالرؤيا الصالحة تُحسد، وقد يوقع الشيطان بها العداوة بين الإخوة، ومن ثم وجه يعقوب عليه السلام ولده يوسف عليه السلام ألا يخبر إخوانه بها، فإنهم سيفهمون منها ما فهمه أبوهم عليه السلام.

وقد صح الحديث عن المصطفى ﷺ "الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان فإنها لا تضره ولا يخبر بها أحدا فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها إلا من يحب"(٢). وقال ﷺ :"لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح"(٣).

وأما محبته عليه السلام ليوسف عليه السلام وتفضيله فقد قال البيضاوى (روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه، فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له) (٤)، ويضاف إلى هذا أنه عليه السلام كان صغيرا، والصغير والضعيف هم أقرب إخوانهم إلى قلوب آبائهم؛ لما تقتضيه أحوالهم من حاجة إلى رعاية وعناية، ولم يرد أبدا ما يدل على أن هذا الحب من يعقوب عليه السلام ليوسف وأخيه نقص إخوانه شيئا من حقوقهم، ومقام النبوة يُحيل أن يقع هذا منه عليه السلام، وقُصارى ما نفهمه هنا أنهم شعروا لطبيعة يوسف عليه السلام طبيعة الأنبياء والمرسلين وخيرة الخلق، ولصغره وضعفه المترتب على صغره، شعروا أنه قريب إلى أبيهم أكثر منهم، ومن ثم نزغ الشيطان بينهم وبين أخيهم وكادوا له، فكان ما كان فى قدر الله.

وقد جاء فى كتب الأدب أن هوذة بن علي الحنفى دخل على كسرى أبرويز فقال له أي أولادك أحب إليك قال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ(٥).

بلاء يعقوب بفقد يوسف عليهما السلام:

يخبرنا القرآن الكريم كيف تلقى يعقوب عليه السلام نبأ مقتل ولده، يقول الحق سبحانه : ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١).

([١]) سورة يوسف ٤: ٦.

([٢]) كنز العمال الباب الربع فى معايش متفرقة الفصل الأول فى النوم وآدابه وأذكاره فرع فى الرؤيا حديث رقم ٤١٣٨٣ جـ١٥ صـ١٥٥. وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث رقم ٣٥٣٢-- المكتب الإسلامى- بيروت لبنان.

([٣]) سنن الترمذى كتاب الرؤيا باب فى تأويل الرؤيا ما يستحب منها وما يكره جـ٤ صـ٥٣ حديث رقم٢٢٨٠. وصححه الشيخ الألبانى صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث رقم ٧٣٩٦.

([٤]) تفسير البيضاوى جـ٣ صـ٢٧٥.

([٥]) أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري – مجمع الأمثال جـ٢ صـ١٢٨–تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد– دار المعرفة – بيروت.

عن مجاهد ﷺ في قوله ﴿ فصبر جميل ﴾ قال ليس فيه جزع، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ﷺ قال: الصبر الجميل: الذي ليس فيه شكوى إلا إلى الله(٢).

وبهذا الصبر الجميل، وإلقاء الحال بين يدى من يعلم السر وأخفى استقبل يعقوب عليه السلام تلك الفاجعة الى تَفُتُّ الأكباد وتهُد الجبال.

وتسكت سورة يوسف عن يعقوب عليه السلام متحدثة عما جرى للصديق عليه السلام من أحداث بعد إخراجه من الجب على يد النفر من أهل مصر، وهذه الفترة بين فقد يعقوب ليوسف عليه السلام وبين عودة الحديث عن يعقوب عليه السلام فى ذات السورة يمكننا أن نتخيل أثناءها اللوعة والأسى والحسرة ومرارة الثُّكل والفقد التى عاناها يعقوب عليه السلام. وسنة الله تعالى أن يبتلي عباده فوق ما يبتلي به الناس، وقد بوّب الإمام البخاري في صحيحه بابا بعنوان "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول وأول حديث فيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا ؟ قال (أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم). قلت ذلك بأن لك أجرين؟ قال أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيآته كما تحط الشجرة ورقها) (٣)، وها هو يعقوب عليه السلام يتاجر مع الله، ويعلم الدنيا الصبر الجميل وحسن الأدب في تلقي قضاء الله تعالى.

السنوات السبع العجاف:

يعود ذكر يعقوب عليه السلام فى سورة يوسف حيث اضطر عليه السلام لإرسال ابنه بنيامين مع إخوانه طلبا للميرة، بعد أن لم يَعُد مَفَرٌ من هذا، وقد تأكد لديه أن العزيز منع أبناءه من الميرة(٤)، ووضع بضاعتهم التى جاءوا بها خلسة دون أن يعلموا، ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٥)، ولكن يعقوب عليه السلام –ولما تزل آثار فقد يوسف عليه السلام تُشجيه– يرفض أن يرسله معهم إلا بعد أن يعاهدوه أن يأتوا بأخيهم، إلا أن يحاط بهم، فجريان أقدار الله على خلقه بما يشاء لا مرد لها، وما يهتم له عليه السلام ألا يكون ما يجرى له بسبب إهمالهم وتفريطهم.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا

---

(١) سورة يوسف ١٦: ١٨.

(٢) الدر المنثور جـ٤ صـ٥١٤.

(٣) صحيح البخاري كتاب المرضى باب أشد الناس بلاء الأنبياء حديث رقم٥٣٢٤ – جـ٥ صـ٢١٣٩–تعليق مصطفى ديب البغا– الطبعة الثالثة– ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م–دار ابن كثير–اليمامة–بيروت.

(٤) الجذر اللغوي مير، يقال مارَهُم مَيْرا مِن باب باع: أتاهم بالمِيرة، وهي الطعام. المصباح المنير صـ١٠٨.

(٥) سورة يوسف:٦٢.

وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١).

جاء فى التفسير عن ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد وقتادة فى قوله تعالى ﴿ لا تدخلوا من باب واحد ﴾ أنه رهب عليهم العين... وكانوا قد أُوتوا صورا وجمالا، فخشى عليهم أنفس الناس(٢)، وشفع عليه السلام هذه الوصية ببيان أنه لا حيلة للعبد فيما قضاه الله وقدره، وإن كان من شأن العبد أن يأخذ بالأسباب ولا يفرط فى الحيطة والحذر، ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه ذلك التفرق ما كان يرد قضاء الله ولا أمراً قدره الله. وقال الزجاج: إن العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون. وقال ابن الأنباري: لو سبق في علم الله أن العين تهلكهم عند الاجتماع، لكان تفرقهم كاجتماعهم، وهذه الكلمات متقاربة، وحاصلها أن الحذر لا يدفع القدر"(٣).

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة متضافران على إثبات الحسد، وتوجيه الناس إلى طلب العياذ بالله تعالى منه قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٥).

وفى الحديث عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت أَمَرَنِي رسول اللَّهِ أو أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى من الْعَيْنِ"(٦). وفى صحيح مسلم وابن حبان عن بن عباس قال قال رسول الله ﷺ "العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا"(٧).

---

(١) سورة يوسف ٦٤: ٦٧.

(٢) الدر المنثور جـ٤ صـ٥٥٧.

(٣) التفسير الكبير جـ١٨ صـ١٤٠.

(٤) سورة البقرة: ١٠٩.

(٥) سورة الفلق:٥.

(٦) صحيح البخارى كتاب الطب باب رقية العين حديث رقم ٥٤٠٦– جـ٥ صـ٢١٦٦.

(٧) صحيح مسلم كتاب السلام باب الطب والمرضى والرقى حديث رقم ٢١٨٨– جـ٤ صـ١٧١٨، وإذا استغسلتم فاغسلوا: أى إذا طلب إليكم أن تغتسلوا ليغتسل المصاب بالعين بالماء فافعلوا ولا تمتنعوا.

ابتلاءُ الله يعقوبَ بفقد بنيامين:

وفى آيات قصار يقص علينا القرآن الكريم خبر دخول إخوة يوسف عليه السلام عليه، وإيوائه لأخيه، وإخباره له بما كان من أمره، ثم ينتقل إلى الحيلة التى لجأ إليها عليه السلام ليلقن إخوته دروسا فى أن ما اختلقه الإنسان كذبا يوما ما ونجا به، قد يحيق مكره به يوما ما دون أسبابه، وينتزع منهم بنيامين، وعلى الرغم من محاولة المساومة مع يوسف عليه السلام لم ينجحوا، فيذكرهم أخوهم بعهدهم مع أبيهم، وأنه لن يبرح أرض مصر حتى يأذن له أبوه يعقوب عليه السلام فى المجيء، أو ينزلُ الله حكما فيقبله راضيا مختارا، ثم ينتقل بنا إلى هذا المشهد المؤلم، حيث يقف أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام (أمام أبيهم المفجوع، وقد أفضوا إليه بالنبأ الفظيع. فلا نسمع إلا رده قصيراً سريعاً، شجياً وجيعاً. ولكنَّ وراءه أملاً لم ينقطع في الله أن يرد عليه ولديه، أو أولاده الثلاثة بما فيهم كبيرهم الذي أقسم ألا يبرح حتى يحكم الله له. وإنه لأمل عجيب في ذلك القلب الوجيع: ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم ﴾... كلمته ذاتها يوم فقد يوسف . ولكنه في هذه المرة يضيف إليها هذا الأمل أن يرد الله عليه يوسف وأخاه ... ﴿ إنه هو العليم الحكيم ﴾ . . الذي يعلم حاله، ويعلم ما وراء هذه الأحداث والامتحانات، ويأتي بكل أمر في وقته المناسب، عندما تتحقق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج)(١).

وسياق الآيات والأحداث يدل على أن يعقوب عليه السلام عانى مصيبة فقد أولاده كأب عادى، لم يُثْلج الوحى صدره بعودتهم إليه، أو بما جرى ليوسف من أحداث، وينضم إلى هذا الألم الممض، والبلاء المبين، بلاؤه فى نفسه، حيث أثر عليه حزنه حتى فقد بصره عليه السلام، قال تعالى ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢).

يقول الإمام النسفى (لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكوا إلى ربي داعيا له وملتجئا إليه فخلونى وشكاتي، وروى أنه أوحى إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فوقفت ببابكم مسكين فلم تطعموه، وإن أحب خلقى إلى الأنبياء ثم المساكين، فاصنع طعاما وادع عليه المساكين. وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت. ﴿ وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ وأعلم من رحمته أنه يأيتني بالفرج من حيث

---

(١) فى ظلال القرآن جـ٤ صـ٣٣٧، ٣٣٨ بتصرف.

(٢) تفسير النسفى جـ٢ صـ٢٠٢.

لا احتسب. وروى انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى فاطلبه وعلمه هذا الدعاء: ياذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيرك فرج عنى)(١).

وليس ببعيد فى هذه المرحلة العصيبة، وبعد هذا الصبر الجميل أن يوحى الله لنبيه ورسوله يعقوب عليه السلام بوجود يوسف عليه السلام فى مصر، أو يُلهمه قرب الفرج، وانتهاء الكرب، وجمع الشمل، وقال السدي لما أخبره ولده بسيرة الملك أحست نفس يعقوب وطمع وقال(٢). ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ وذلك (لأنّ المؤمن إنما يكون راجياً خاشياً، فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف... وعن قتادة رضي الله عنه إن الله ذمّ قوماً هانوا عليه فقال ﴿ أُوْلَئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى ﴾ ... فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله، ولا من رحمته، وأن لا يأمن عذابه وعقابه، صفة المؤمن أن يكون راجياً لله عز وجل خائفاً) (٣).

فرج الله بعد الصبر الجميل:

يحدثنا القرآن الكريم عن دخول إخوة يوسف عليه واستعطافهم له، ثم المفاجأة التى لم تكن تخطر لهم على بال، ولم تراودهم حتى فى أحلامهم، إذا بهذا العزيز الذى وفدوا عليه كثيرا، وجالسوه طويلا، وأكرم وفادتهم، وأحسن ضيافتهم، إذا به هو أخوهم الذى ألقوه فى الجب منذ سنين، ثم كان عفوه عليه السلام عند المقدرة، بل ولم يُثَرِّب عليهم، وتلك أخلاق الأنبياء والمرسلين، ويأمرهم عليه السلام بأخذ قميصه ووضعه على وجه أبيه يأت بصيرا، ويقدموا بأهليهم أجمعين إلى أرض مصر.

وسياق الآيات يدل على أن الذين خرجوا ليتحسسوا من يوسف وأخيه بعض أبنائه، وبقى معه عليه السلام بقية أبنائه، قال تعالى:﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤). قال (مالك بن أنس رضي الله عنه إنما أوصل ريحه مَن أوصل عرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان عليه السلام طرفه)(٥)، وقيل غير ذلك، وهو من المعجزات التى يكرم الله بها أنبياءه ورسله، كما أن عودة بصره إليه مما أكرمه الله به من الآيات العظام التى أيد الله بها يعقوب ويوسف عليهما السلام.

---

(١) سورة يوسف ٨٤: ٨٧.

(٢) تفسير البغوى جـ٢ صـ٤٤٥.

(٣) تفسير الكشاف جـ٣ صـ٤٥٤ بتصرف.

(٤) سورة يوسف ٩٤: ٩٨.

(٥) تفسير القرطبى جـ٩ صـ٢٦٠.

أبناء الأنبياء ليسوا معصومين:

لعل من الأمور التى يقف عندها المتدبر، قول أبناء يعقوب ﵇ له ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ عن قتادة:(قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) (أي: من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه. قالوا لوالدهم كلمةً غليظة، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم، ولا لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم) (١).

فكيف يجيب أبناء نبى أباهم بمثل هذه الإجابة، التى تعد من العقوق وسوء القول، وبعيدا عن محاولات التخفيف من حدة هذا الجواب الجافى، فإن الصحيح من أقوال العلماء أنهم لم يكونوا أنبياء، فيصح أن يجرى منهم ما يجرى من غيرهم، وقد أجمعوا على إلقاء أخيهم فى البئر، وتغييبه عن أبيه، ولا شك أن ما فعلوه بيوسف ﵇ أوجع من ردهم على أبيهم، فهو خطأ ولا شك، أداهم إليه يقينهم بأن يوسف ﵇ قد مات.

وخلاصة القول أنه خطأ ومعصية طلبوا الغفران لها من أبيهم، وقد وعدهم أبوهم بأن يسأل الله العفو عنهم ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وتسويف الدعاء لهم طلبا لأفضل أوقاته، (قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم إلى وقت السحر. وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن إدريس سمعت عبد الرحمن بن إسحاق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمرو ﵁ يأتي المسجد فيسمع إنسانا يقول: اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت، وهذا السحر فاغفر لي. قال: فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود، فسأل عبد الله عن ذلك فقال: إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر)(٢).

وهكذا تنتهى مرارة السنين الطوال، والجهد الجهيد، والكرب المقيم، بكل كرم وبر ورحمة ومحبة، من يوسف ﵇ ومن يعقوب(٣). ﵇ بل وبوعد كريم من الكريم بن الكريم بن الكريم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بأن يتلمس أرجى أوقات الدعاء ليسأل الله تعالى العفو والصفح عن أبنائه.

ثم تأتى اللحظة الحاسمة، التى دُونَهَا دُرَرُ الكلام، وسُحبُ الفصاحة والبيان، والتى لا تستطيعها، ولا تبرز جلالها وجمالها إلا كلمات القرآن الكريم ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ

---

(١) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن جـ١٦ صـ٢٥٧-تحقيق أحمد محمد شاكر- الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م-مؤسسة الرسالة.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ صـ٤٩١.

(٣) كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن أمية ابن عمة رسول الله ﷺ من أشد الناس إيذاء له، وبعد فتح مكة لقيهما النبى ﷺ فأعرض عنهما، فأغمهما هذا وأكربهما فقالت أم سلمة لرسول الله ﷺ: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وقال علي لأبي سفيان فيما حكايه أبو عمر: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف ﵇ :﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا، ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله ﷺ ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾.زاد المعاد جـ٣ صـ٤٠٠.

رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

وهكذا يعرض لنا القرآن الكريم تلك الصورة المؤتلقة لحياة نبى الله يعقوب ﷺ، حياة الطهر والنقاء والصفاء والمعاناة والابتلاء والصبر الجميل والرضا، وما لا يقع تحت حد الحصر من المعانى الجليلة التى استحق بها ثناء الله عليه مع أبيه إسحاق وجده الخليل فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٢).

ولنقف وقفة سريعة نستخلص منها الملامح الرئيسية لشخصية يعقوب عليه السلام في الإسلام:

١-طهارة البدء، فهو البشرى وقرة العين مع أبيه إسحاق لجديه إبراهيم وسارة عليهما السلام.

٢-يعقوب عليه السلام هبة من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام كما أنه هبة للإنسانية في زمانه كنبي ورسول، وبعد زمانه كمثال يحتذي خصه الله تعالى بالذكر في القرآن الكريم.

٣-النص الإلهي على هدايته ونبوته ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾(٣). ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ (٤).

٣-يعلمنا يعقوب عليه السلام آدابا ومنها:

كيف تُصان النعم بالستر عليها حتى تستوى على سوقها وتصبح دنية القطاف.

الصبر الجميل وحسن الأدب مع قضاء الله بالضر.

الأخذ بالأسباب والحيطة والحذر، يظهر ذلك في أخذه العهد على أبنائه بحفظ بنيامين، وأمرهم بالتفرق عند دخول مصر خوفا من الحسد.

عدم القنوط والضجر عند احتدام الخطب، ومضاعفة الكرب، والشد على حبل الصبر والرجاء حتى كشف الله الضر عنه.

العفو عند المقدرة، والوعد بالإحسان إلى من أساء وتعدى، وتحرى أفضل أوقات القبول إمعانا في العفو والكرم.

٤-ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة – فيما أعلم- شيء مما أوردت التوراة المحرفة من مخازي سوف نقف عليها في حينها، وليس إلا الطهر والنقاء والصفاء والخلق الجميل.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

(٢) سورة ص ٤٥: ٤٧.

(٣) سورة مريم: ٤٩.

(٤) سورة الأنعام: ٨٤.

٥-جلال الختام، ويظهر ذلك في وصية يعقوب عليه السلام لبنيه وهو على فراش الموت (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (١).

والآن لنُيَمِّمَ وجوهنا شطر العهد القديم، نقلب صفحاته، ونرى كيف هي صورة يعقوب عليه السلام في العهد القديم، ويعقوب منهم بمكان، فقد أطلقوا اسمه على الكيان الذي اختلقوه بين ظهرانينا، ولم يطلقوا اسم موسى مثلا على كيانهم، وموسى هو صاحب الكتاب، وهو أعظم رسلهم على الإطلاق.

وفي ظني أنه إلى جانب الانتماء الدموي، حيث إن يعقوب عليه السلام أصل بني إسرائيل، فإن الصورة المزعومة ليعقوب في العهد القديم، هي أنسب الصور التي تتوافق تماما مع النفسية الكئيبة التي أقامت هذا الكيان، كما تفسر ممارسات هذه الكيان فيما بعد.

---

(١) سورة البقرة: ١٣٢.

المبحث الثاني

يعقوب ﷺ فى العهد القديم

إنه لا شك اليوم –عند المنصفين من الباحثين– فى أن العهد القديم الموجود بين أيدى الناس اليوم ليس كلمة الله التى أنزلها على موسى ﷺ وإنما هو شىء وضعه مشايخ اليهود فى حقبة زمنية معينة بأيديهم، وهو يشتمل على حكم وأخبار مما كانت فى التوراة الحقيقية، ولكنها مشوبة بكذب وتلفيق أقحمه اليهود فى كتابهم المقدس.

حقائق عن العهد القديم:

يمكن تأكيد حقيقة تحريف العهد القديم من خلال النقاط التالية:

١–اختلاف اليهود بين سامريين وعبرانيين ولكل نسخته الخاصة من العهد القديم، وبينهما من الاختلاف ما هو معلوم، إضافة إلى أن السامريين لا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة(١)، فى حين يقر العبرانيون باقى الأسفار التى يتضمنها العهد القديم(٢)، فأيها كلمة الله بزعمهم؟ وأيها وضع البشر؟

٢. ما أثبته العهد القديم من ضياع التوراة وخفائها، حيث أخذ تابوت عهد الرب من الإسرائيليين فى حربهم مع الفلسطينيين، وبقى التابوت عندهم فترة ثم أرجعوه(٣). وبعد ذلك فى زمان سليمان لما فتح التابوت لم يجدوا فيه إلا لوحى الشريعة فقط(٤)، ويخبرنا العهد القديم أن التوراة وجدت فى عهد يوشيا بن آمون(٥) عن طريق حلقيا الكاهن العظيم(٦).

---

(١) التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنية.

(٢) يتضمن العهد القديم ٣٩ سفرا تتضمن ٩٢٩ إصحاحا، هذا فضلا عن اختلافات فى تقديس أو عدم تقديس أسفار أخرى كسفر الميكابيين الأول والثانى مثلا.

(٣) صموئيل الأول ١–١، وفيه:"فأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأتوا به من حجر المعونة إلى أشدود" وأيضا :"وكان تابوت الله في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر" صموئيل الأول ٦–١.

(٤) جاء في الإصحاح الثامن من الملوك الأول :"حينئذ جمع سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الأسباط رؤساء الآباء من بني إسرائيل إلى الملك سليمان في أورشليم لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود..." إلى أن قال :"لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر". الملوك الأول ٨– ١: ٢. و ٩.

(٥) وحسب العهد القديم بين سليمان ويوشيا بن آمون ملك عشرون ملكا جلهم عبدوا آلهة الشعوب الأخرى.

(٦) فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه وجاء شافان الكاتب إلى الملك" الملوك الثاني ٢٢ – ٨، ٩.

وادعاء حلقيا غير مقبول عقلا (لأن البيت نُهب مرتين قبيل عهد الملك يوشيا(١) ثم جعل بيتا للأصنام، وكان سدنة الأصنام يدخلون البيت كل يوم، وفى عهد يوشيا كان الكهنة يدخلون البيت كل يوم مدة سبعة عشر عاما فى أثناء الترميم وبعده، فلا يعقل أن تكون نسخة التوراة فى البيت، ولا يراها أحد خلال تلك المدة الطويلة، رغم البحث والتفتيش، ويرى الباحثون أن "حلقيا" وغيره من الكهنة لما رأوا مَيْلَ الملك "يوشيا" إلى الدين والعمل بالتوراة، انتهزوا هذه الفرصة للوقوف فى وجه ارتداد اليهود والعودة بهم إلى الدين، فجمعوا هذه النسخة من الروايات اللسانية التى وصلت إليهم دون تحر خلال السبعة عشر عاما من حكم يوشيا بن آمون(٢)، ثم ضاعت التوراة مرة أخرى.

٣- يقول الأستاذ عبد الوهاب طويلة (واستمر مصير التوراة مجهولا، وظل بنو إسرائيل بدون شريعة إلى أن أملاها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهارونى، وهم مقرون أنه وجدها عندهم، وفيها خلل كثير، فأصلحه، وكان كتابة "عزرا" للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، وكتبهم تدل على أن "عزرا" لم يكتبها لهم، ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين عاما من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاما التى كانوا فيها جالين، ولم يكن فيهم نبى أصلا،... ففى دون هذا كفاية لمن عقل فى أنها كتاب مبدل مكذوب موضوع، ودين معمول خلاف الدين الذى يقرون أن موسى عليه السلام أتاهم به، وما يريد الشيطان منهم أكثر من هذا، ولا فى الضلال فوق هذا، ونعوذ بالله من الخذلان) (٣).

٤-مما هو جدير بالذكر هنا أن نثبت بأننا لا ننفى بقاء أخبار صادقة وأحداث حقيقية وأقوال حكيمة فى العهد القديم، ولكنها ليست هى الصياغة التى نزلت من السماء، ليست هى كلمة الله، إنما هى محاولات رجال الدين لتدارك ما يمكن تداركه، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فجمعوا من محفوظاتهم، وصبوا ما فهموه من كلمة الله بقوالبهم اللغوية، ولامتداد الفترة الزمنية التى تم فيها جمع العهد القديم، دخلت أخبار وقصص وحكايات ومعتقدات الشعوب المختلفة التى عاش بين ظهرانيها اليهود على امتداد تاريخهم، إلا أن العجيب – كما يرى الباحثون – تلك القدرة الغريبة على امتصاص وهضم تلك المعتقدات وتوظيف تلك الأخبار والحكايات، فيما يسمى بـ "التركيب الجيولوجى التراكمى" وهى (عبارة نستخدمها لنشير إلى أحد النماذج التفسيرية الذي يحاول أن يصف عمق عدم التجانس الذي تتسم به العقيدة/العقائد اليهودية، والهوية/الهويات اليهودية، وإلى أن نقط الاختلاف بين هذه العقائد والهويات أهم من نقط التشابه بينها... و يتسم بأنه يتكون من

---

(١) وذلك عن طريق شلمناصر ملك الآشوريين، ثم من بعده خليفته سرجون، اللذان دكا عاصمة إسرائيل وأسكنا وثنيين بدلا منهم، وفرق سرجون اليهود فى مملكته.

(٢) عبد الوهاب عبد السلام طويلة- الكتب المقدسة فى ميزان التوثيق صـ٧٢ -طبعة أولى-١٤١٠هـ-١٩٩٠م- دار السلام-مصر.

(٣) عبد الوهاب عبد السلام طويلة- توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسى – عرض جديد لما أورده الإمام ابن حزم فى كتابه (الفصل فى الملل والأهواء والنحل عن توراة اليهود وبعض أسفارهم من حيث التوثيق والمغالطات صـ١٣٩- ٢٠٠٢م- دار القلم – دمشق سوريا.

طبقات جامدة مستقلة، تراكمت الواحدة فوق الأخرى، ولم تلغ أية طبقة جديدة ما قبلها، وقد تتشابه هذه الطبقات، وقد تختلف، وقد تتفق أو تتناقض، غير أن السمة الأساسية لها؛ هي أنها تتجاور وتتزامن وتتواجد مع بعضها، ولكنها لا تتمازج ولا تتفاعل ولا تلغي الواحدة الأخرى) (١).

ولا نريد أن نستطرد فى هذا فقد كفانا كثير من علماء اليهود القدامى والمحدثين، والذين أكدوا بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الكتاب الموجود بين أيديهم الآن ليس كلمة الله التى أنزل على موسى عليه السلام وإنما هو فى أحسن أحواله محاولات رجال الدين اليهودى على مر تاريخهم تدارك ما اجترحه آباؤهم من التفريط فى التوراة التى أنزل الله على موسى عليه السلام، ومن هؤلاء العلماء السموأل بن عاديا حبر وابن حبر وصاحب كتاب "غاية المقصود فى إفحام اليهود"، وأبو الفتح بن الحسن السامرى صاحب كتاب "التاريخ مما تقدم عن الآباء، والحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمى، ومن المحدثين الباحث م.ريجسكى، والفيلسوف باروخ سبينوزا(٢).

وقد أشرت إلى هذا كتوطئة بين يدى الحديث عن سيدنا يعقوب عليه السلام من وجهة نظر من يدعون أنهم أبناؤه، ويعتبرونه من أعظم أنبيائهم.

٥-تقول دائرة المعارف البريطانية:" إن التقويم التاريخي لأحداث العهد القديم قد صار لاعتبارات كثيرة أمرا غير موثوق به، فقبل قيام المملكة لم تكن الظروف تسمح بعمل تقويم تاريخي يعتمد عليه، وفي واقع الأمر فإن تاريخ الأحداث القديمة قد أضيف بعد قرون عديدة من وقوعها، ودرجة الدقة فيها مظهرية فقط ... ويقرر علماء الترجمة الفرنسية المسكونية أن مؤلفي سفر التكوين- وهم كتبة عديدون- قد استقوا معلوماتهم من أساطير الشرق القديمة، فعند الحديث عن "مصادره" نجدهم يقولون :"لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم يردون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم، ولا سيما ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية، فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبعض النصوص الغنائية والحكمية الخاصة بسومر وبابل وطيبة.. ولكن علم الآثار يدل أيضا على أن المؤلفين الذين أعادوا النظر في الفصول الأولى من سفر التكوين، وأضفوا عليه اللمسات الأخيرة لم يكونوا مجرد مقلدين عميان، بل أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم والتفكير فيها بالنسبة إلى التقاليد الخاصة بشعبهم) (٣).

---

(١) الدكتور عبد الوهاب المسيري -موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية جـ١ صـ١٤٧.

(٢) يرجع فى تفصيل أقوالهم لما كتبه الدكتور حسن الباش فى كتابه: الكتاب والتوراة عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام صـ٤٦ وما بعدها- الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م- دمشق سوريا- بيروت لبنان.

(٣) اللواء أحمد عبد الوهاب- إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية صـ٧٩، ٨٠ بتصرف-الطبعة الثانية- دت- مكتبة وهبة- القاهرة- مصر.

وهذا والله من عجائب الأشياء أن يعلن المتخصصون وأبناء الملة تحريف الكتب ويتبجح ذوو الأغراض والمنتفعون بأنها كلمة الله!!!

حق البكورية (١):

ما البكورية؟ وما هي حدودها، وما حقها؟

البكورية كما جاء في العهد القديم: "كل فاتح رحم"(٢). وحدودها كما جاء في العهد القديم أيضا "لي كل بكر في بني إسرائيل من الناس ومن البهائم"(٣). وتشمل النباتات أيضا.

وحق البكوية توضحه الفقرات التالية من العهد القديم:

١-" بدل كلِّ فاتحِ رحمٍ بكرٍ كلٍ من بني إسرائيل قد اتخذتهم لي؛ لأن لي كل بكر في بني إسرائيل من الناس ومن البهائم، يوم ضربت كل بكر في أرض مصر قدستهم لي، فاتخذت اللاويين بدل كل بكر في بني إسرائيل"(٤).

٢-خاطب يعقوب بكره رأوبين قائلا :" رأوبين أنت بكري قوتي، وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز"(٥).

---

(١) فكرة البكورية تحمل فى طياتها معنى تقديس البكور لله، وقدم هابيل من أبكار غنمه وسانها، وكذلك الابن البكر له امتيازات خاصة داخل الأسرة. ينظر: www.pscopts.org/modules/tinycontent/index.php?id=36

وكانت العادة عند اليهود أن يكرّسوا كل بكر ذكر لخدمة الرب (خروج ١٣: ١٢ و٣٤: ١٩) وهناك سبب آخر وهو أنهم أمروا بذلك ليتذكروا قتل الله لأبكار المصريين وإبقائه على أبكارهم (خروج ١٣: ١٢) فنسخ حكم هذه العادة منذ تعيين اللاويين زاد عدد الأبكار ٢٧٣ ذكراً عن عددهم فداهم العبرانيون بدراهم عن كل رأس خمسة شواقل من الفضة (نحو نصف جنيه انكليزي) وأما البكر من البهائم فكان مكرّساً أيضاً لخدمة الرب. لا يفكّ ولا يبدل إلا إذا كان من الحيوانات النجسة حسب الشريعة، وأراد صاحبه فكّه. وإذا لم يرد بيع أو قتل أو بدل (خروج ١٣: ١٣ لا ٢٧: ٢٧). وكان للبكر امتيازات عن باقي إخوته، يرد ذكرها في الكلام عن حقوق البكورية، كأن يأخذ نصيب اثنين وغير ذلك (تثنية ٢١: ١٧)هذا إذا كان يستحق هذه الامتيازات وإلا فيسقط حقه في جميع امتيازات البكورية كما حدث لعيسو ورأوبين (تكوين ٢٧: ٢٩ و١ أخبار ٥: ١ و٢). وقد اكتشف في النقوش التي وجدت في نوزي في العرنوزي في العراق والتي ترجع إلى العصر الذي عاش فيه عيسو بأن أحدهم باع بكوريته لأجل نعجة. وأما ما ورد في الكتاب المقدس من ذكر أبكار المساكين (اش ١٤: ٣٠) فيراد به شدة الفقر. وكذلك بكر الموت أي الموت العظيم (اي ١٨: ١٣) وبكر كل خليقة أي أول ورأس الخليقة (كو ١: ١٥)وأما البكر في عب ١: ٦ فالمراد به الدلالة على عظمة المسيح ورئاسته. ينظر: http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/02_b/B_183.html

(٢) سفر العدد٨ - ١٦.

(٣) سفر العدد٨ - ١٧.

(٤) سفر العدد٨ - ١٧، ١٨.

(٥) سفر التكوين٤٩- ٣.

٣-:"بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده؛ لأنه هو أول قدرته له حق البكورية"(١).

فالبكر مقدس مصطفى من الله، وأبناء هارون ﷺ مصطفون من بني إسرائيل كأبكار لله تعالى ليقوموا بالخدمة الدينية.

وللبكر – كما جاء على لسان يعقوب ﷺ – له فضل الرفعة وفضل العز، كما أن للبكر نصيب اثنين من كل صنف من المال.

ولكن هل يمكن بيع هذه البكورية، وهل يُجدي الاحتيال في الحصول عليها، وما يترتب عليها من بركات ومكانة خاصة؟ العهد القديم يخبرنا بإمكانية هذا.

بيع البكورية:

يبتدأ العهد القديم الحديث عن قصة "عيسو" و"يعقوب" ولدي إسحاق ﷺ بطريقة تتعارض مع موازين الإنسانية الرشيدة، حيث يظهر لنا انقسام الوالدين "إسحاق" و"رفقة" فى حبهما لولديهما، حيث مال إسحاق إلى عيسو، ورفقة إلى يعقوب، ميلا من شأنه أن يرفع أحد الولدين على الآخر من غير مسوغ إلا الهوى.

وهو يتعارض مع الفطر الإنسانية، كما يتعارض مع الشريعة الإسلامية المهيمنة والمصدقة للشرائع التى سبقتها، المتطابقة مع معطيات العقول البشرية والمنطق السليم.

فى الحديث الشريف عن النعمان بن بشير الأنصاري أن أمه ابنة رواحة: سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة، ثم بدا له فوهبها له، فقالت: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أم هذا؛ ابنة رواحة، قاتلتني على الذي وهبت له، فقال رسول الله ﷺ يا بشير ألك ولد سوى هذا قال نعم فقال رسول الله ﷺ: أفكلهم وهبت لهم مثل الذي وهبت لابنك هذا؟ قال: لا، قال رسول الله ﷺ: فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد على جور(٢).

ويُبرز هذا الخللَ سعيُ الأم – زعموا– عن طريق الاحتيال لإكساب ولدها المفضل تَمَيُّزا وبركة من دون أخيه.

عيسو يتخلى عن بكوريته:

جاء فى العهد القديم(وَطَبَخَ يَعْقُوبُ طَبِيخًا فَأَتَى عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ قَدْ أَعْيَا فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ "أَطْعِمْنِي مِنْ هذَا الأَحْمَرِ لأَنِّي قَدْ أَعْيَيْتُ" لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ "أَدُومَ" فَقَالَ يَعْقُوبُ "بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ" فَقَالَ عِيسُو "هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي

(١) سفر التثنية٢١- ١٧.

(٢) سنن النسائى كتاب النُحل باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير فى النُحل جـ٦ صـ٢٦٠ حديث رقم ٣٦٨١ – الطبعة الثانية ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة– مكتبة المطبوعات الإسلامية– حلب – سوريا

بَكُورِيَّةٌ؟ فَقَالَ عِيسُو: "هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟ فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُوَ خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى. فَاحْتَقَرَ عِيسُو الْبَكُورِيَّةَ) (١).

وهم ليخففوا من حدة هذا الافتراء المجافي لكل ما هو منطقي ومعقول، يظهرونه وكأنه ازدراء من "عيسو" للبكورية، ومن ثم استحق أن يُحرم منها.

وإذا كانت البكورية –حسب ما جاء في نصوص العهد القديم– معنى شرعيا، واصطفاء إلهيا، فكيف يكون للاحتيال دخل فيها، والبكورية –عندهم– ليست مسألة كسبية، بل هى هبة إلهية لا دخل للإنسان فيها، إذ لا دخل لأحد فى كونه وُلِدَ أولا أو آخرا. وفى تصديق مثل هذه الأخبار:

١–طعن فى حكمة الله تعالى إذ اختار لها من ليس أهلا.

٢–تشويه صورة البكورية التى تنتزع بالاحتيال من جانب، والشراهة ودناءة النفس من جانب آخر.

٣–تشويه صورة أبناء الأنبياء والمرسلين، بل تشويه للمرسلين أيضا، فإن يعقوب عليه السلام نبى ورسول، فكيف يتوصل إلى مثل هذه المقامات بتلك الوسائل؟!

الكذب والاحتيال لنيل البركة:

جاء فى العهد القديم (وحدث لما شاخ إسحاق، وكلّت عيناه عن النظر، أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: يا بنى، قال: هاءنذا، فقال: هاءنذا قد شخت ولا أعلم يوم موتى، والآن خذ عدتك، وجعبتك وقوسك، واخرج إلى الحقل وصد لى صيدا، وأعدد لى ألوانا طيبة كما أحب، وائتنى به فآكل، لكي تباركك نفسي قبل أن أموت، وكانت رفقة سامعة حين كلم إسحاق عيسو ابنه، فمضى عيسو إلى الحقل ليصيد صيدا ويأتي به.

فكلمت رفقة يعقوب ابنها قائلة: إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلا: ائتني بصيد وأعدد لى ألوانا طيبة فآكلَ منها وأباركك أمام الرب قبل موتى، والآن يا بنى اسمع لقولي في ما آمرك به، امض إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين من المعز جيدين، فأعدهما ألوانا طيبة لأبيك كما يحب، فتأتى بها أباك ويأكل لكي يباركك قبل موته، فقال يعقوب لرفقة أمه: عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس، فلعل أبى يجسني فأكون في عينيه كالساخر منه، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة، قالت له أمه: علىّ لعنتك يا بنى، إنما اسمع لقولي وامض وخذ لى ذلك، فمضى وأخذ ذلك وأتى به أمه فأعدته أمه ألوانا طيبة، على ما يحب أبوه، وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي عندها في البيت فألبستها يعقوب ابنها الأصغر، وكست يديه وملاسة عنقه بجلد المعز، وأعطت يعقوب ابنها ما صنعته من الألوان الطيبة والخبز.

فدخل على أبيه وقال: يا أبت قال: لبيك من أنت يا بنى؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك قد صنعت كما أمرتني، قم فاجلس وكل من صيدي، لكي تباركني نفسك، فقال إسحاق لابنه: ما أسرع ما أصبت يا بنى،

---

(١) سفر التكوين: ٢٥، ٢٩: ٣٤.

قال: إن الرب إلهك قد يسر لي، فقال إسحاق ليعقوب، تقدم حتى أجسك يا بنى، لأعلم هل أنت ابني عيسو أم لا. فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه، فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يد عيسو، ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه، فباركه، وقال: هل أنت ابنى عيسو؟ قال: أنا هو، فقال: قدم لى حتى آكل من صيد ابني، لكي تباركك نفسي، فقدم له فأكل وأتاه بخمر فشرب، ثم قال له إسحاق أبوه: تقدم قبلني يا بني، فتقدم وقبله، فاشتم رائحة ثيابه وباركه وقال: ها هي ذه رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب، يعطيك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض، ويكثر لك الحنطة والنبيذ، وتخدمك الشعوب وتسجد لك الأمم، سيدا تكون لإخوتك، ولك بنو أمك يسجدون لاعنك ملعون ومباركك مبارك.
فلما انتهى إسحاق من بركته ليعقوب وخرج يعقوب من أمام إسحاق أبيه، إذا عيسو أخوه قد أقبل من صيده، فأعد هو أيضا ألوانا طيبة وأتى بها أباه، وقال لأبيه: ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه، لكي تباركني نفسك، فقال له إسحاق أبوه: من أنت؟ قال: أنا ابنك بكرك عيسو، فارتعش إسحاق ارتعاشا شديدا جدا، وقال: فمن إذا ذاك الذي صاد صيدا فأتاني به؟ فقد أكلت من أكله، قبل أن تجيء وباركته، نعم! مباركا يكون، فلما سمع عيسو كلام أبيه، صرخ صرخة عظيمة ومُرة جدا، وقال لأبيه: باركني أنا أيضا يا أبت، فقال: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك، فقال: ألأنه سُمى يعقوب قد تعقبني مرتين: أخذ بكريتي، وها هوذا الآن أخذ بركتي، ثم قال: أما أبقيت لي بركة، فأجاب إسحاق وقال لعيسو: هاءنذا قد جعلته سيدا لك، ووهبت له جميع إخوته خدما، وبالحنطة والنبيذ أمددته، فماذا أصنع لك يا بنى؟ فقال عيسو لأبيه: أبركة واحدة لك يا أبت؟ باركني أنا أيضا يا أبت، وبقى إسحاق صامتا، ورفع عيسو صوته وبكى، فأجابه إسحاق أبوه وقال له: بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن طل السماء الذي من عل بسيفك تعيش وأخاك تخدُم، ويكون أنّك إذا قويت تكسر نيره عن عنقك) (١).

<u>وهنا نقف وقفات:</u>

١-كيف يُقدم نبي ورسول على مثل هذا اللون من الاحتيال المتضمن للكذب والغش والخداع لأبيه النبي والرسول!؟

٢-كيف تُشارك أم في هذا الاحتيال، وتقف متفرجة بدم بارد على لوعات ابنها المظلوم!؟

٣-كيف تترتب البركة وتَرُوجُ وتُعْطِي ثمارها وقد أُعطيت على هذا النحو المثير للاشمئزاز!؟

٤-وما يملأ النفس بالحسرات والكرب بعد كل هذا، أن الأب المخدوع يُكمل حسرات ابنه، بإخباره بالقضاء المبرم عليه بالعيش الخشن، والحياة الكادحة!!!

أي منطق هذا، وأي عقول تقبل مثل هذا الافتراء؟!

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٢٧ فقرات ١: ٤٠.

بناء الحقوق على الافتراء والسلب:

لا يوجد في حياة الناس – حسبما نعلم وحسب المنطق الرشيد– قانون يثبت حقا بناء على السلب والاغتصاب، ولا يوجد في منطق العقلاء – قديما وحديثا– تشريع يَعتبر السلب وسيلة شرعية للحصول على الأشياء، ولكن اليهود الذين يتبعون سياسة "ما تكرر تقرر" استلبوا فلسطين –بمساعدة القوى الكبرى في العالم في هذا الآن– وأخذوا يرددون علينا أكاذيب وتلفيقات صارت ملفات رسمية في أروقة المحافل الدولية، وبعد أن كانت "إسرائيل المزعومة" صرنا نحن المزعومين، وهكذا تحول السلب والغصب إلى قانون تُبنى عليه الحقوق، وهذا ما يقرره العهد القديم المحرف، حيث حصل يعقوب –بزعمهم– على البكورية والبركة من أبيه بهذه الطريقة. وهذه هي الثقافة التي تَثَقَّفَ ويتثقف عليها اليهود، فكل شيء حلال لهم؛ لأنهم أبناء الله وأحباؤه، واللهُ العظيم يقول (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(١).

والعجيب أنهم يختزلون مفهوم "السامية" فيخصون به أنفسهم، وأخرجوا العرب –الذين هم أكثر تجذرا في معنى السامية– من الشرف السامي بقوة الاستبداد الفكري، كما أخرجوهم من أرضهم وديارهم بقوة الاستبداد العسكري مصحوبا برعاية القوى الصليبية على اختلاف مشاربها.

إن (الحديث عن الوحدة العرقية بين اليهود لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق، واليهود لا يعرفون الوحدة العرقية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية، وثمة اتفاق بين الدارسين في الوقت الحاضر على أن نقط التشابه بين أعضاء الجماعات اليهودية وبين أبناء المجتمعات التي يعيشون فيها يفوق كثيرا أي تشابه قد يوجد بين أية جماعة يهودية وأية جماعة يهودية أخرى في مجتمع آخر.

وهذا أمر متوقع تماما، ورغم التشريعات اليهودية الخاصة بتحريم الزواج المختلط؛ فمن المعروف أن اليهود تزاوجوا بغيرهم من الشعوب، بل وكان من الصعب عليهم أن يفعلوا غير ذلك؛ لأنهم كانوا شعبا من البدو الرحل الذين يتنقلون من مكان إلى آخر. لقد جاء الآباء أسلاف العبرانيين من بابل، فهم إذن من أصل سام عربي، وحينما وصلوا إلى كنعان تزاوجوا من "الحثيين"(٢). الذين هم من أصل أَرْمني، ولا شك أن العبرانيين تأثروا حضاريا وعرقيا بالمصريين أثناء إقامتهم في مصر بعد هجرة يوسف ويعقوب، وقد خرجوا من مصر ومعهم "اللفيف العرقي" الذي يشير إليه العهد القديم، وقد تزوج موسى أثناء الخروج أو الهجرة من مصر من

---

(١) سورة آل عمران: ٧٥.

(٢) الحَثِّيون: أصحاب امبراطورية شرقية عظيمة ثالثة، ازدهرت في آسيا الصغرى بين ١٩٠٠ و١٢٠٠ ق.م اختلط بهم العبرانيون وزوجوهم وتزوجوا منهم، وورد في العهد القديم زواج داود وسليمان من الحثيين. بتصرف من: قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٨٩ . ٢٩١ مرجع سابق

امرأة مدينية "من مدين" ثم من "كوشية"، وتزاوج العبرانيون بالكنعانيين بعد تسللهم إلى أرض كنعان، وبغيرهم من الأقوام السامية التي كانت تقيم هناك، ومن الطريف أن أم داود "الذي سيأتي من نسله الماشيّح ملك اليهود" لم تكن – حسبما ورد– يهودية، أي أنه هو نفسه مشكوك في انتمائه إلى الشعب اليهودي، وفي العصر الهيليني(١). كانت نسبة التزاوج بالأجانب مرتفعة إلى حد كبير.

ورغم أن اليهودية ليست ديانة دعوية، فإن كثيرا من الشعوب قد تهودت، فقد فَرَض الحشمونيون(٢) اليهودية قسرا على بعض الشعوب المجاورة مثل :

الأدوميين(٣) والإيطوريين(٤)، كما تهودت قبائل الخزر(٥)... ويلاحظ أن الكنيسة في العصور الوسطى كانت تكرر من آونة لأخرى تحريم الزواج بين اليهود والمسيحيين، وهو أمر يدل على استمرار الظاهرة.

أما في العصر الحديث؛ فإن معدلات الزواج المختلط في ألمانيا في الثلاثينيات، وفي روسيا السوفيتية "سابقا" وفي الولايات المتحدة، وفي معظم البلاد التي تزايدت فيها معدلات العلمنة، تصل إلى نحو ٥٠% في كثير من الأحيان، وكانت نتيجة الزواج المختلط هي عدم النقاء العرقي.

وقد اتضحت الخلافات العرقية بين اليهود في الدولة اليهودية بشكل مثير لا يمكن الجدل بشأنه، فاليهود الإشكناز الشقر، ويهود الفلاشاه السود، ويهود بني إسرائيل الداكنو اللون "الذين جاؤوا من الهند" لا يمكن أن ينتموا إلى عرق واحد مهما بلغت الادعاءات العنصرية الصهيونية أو المعادية لليهود من حنكة وموضوعية! ولو كانت هناك سمات يهودية عرقية واضحة لما ادعى بعض اليهود "أيام هيمنة النازية" أنهم ينتمون للجنس النوردي، وأنهم لا علاقة لهم بالجنس السامي، ولما طلب النازيون من أعضاء الجماعات اليهودية أن يُعلّقوا نجمة داود، حتى يستطيع الآريون التعرف عليهم، ولكن التفكير العنصري الاختزالي يمكنه التعايش ببساطة

---

(١) يقصد بالعصر الهليني ما يساوي الفترة العلمانية، حيث ترك فيها اليهود الالتزام بالكتاب المقدس، وعاشوا حسب مقتضيات العصر والمكان. الباحث.

(٢) حَشْمون: اسم عبري معناه "خصب" وهي مدينة كانت في أقصى جنوب مملكة يهوذا. والحشمونيون نسبة إليها. يشوع ١٥: ٢٧. قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٠٨.

(٣) الأدوميون: نسل عيسو أخي يعقوب، وقد ذُكر الأدوميون في سجلات مصر في عصر الأسرة الثانية عشرة التي حكمت من سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ١٧٨٨ ق.م، وقد طَرد عيسو ونسلُه الحوريين من أرض أدوم وسكنوا في موضعهم، وكان حكام أدوم في البداية أمراء يشبهون رؤساء القبائل، ولكنهم أصبحوا فيما بعد وقبل قيام مملكة إسرائيل يلقبون بالملوك. قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٩،٥٠بتصرف .

(٤) الإيطوريون: نسبة إلى يطور: أحد أولاد إسماعيل، وقد حاربت قبيلة يطور أسباط بني أسرائيل شرقي الأردن، وسكن نسله في أيطورية، وهي مقاطعة بين اللجاه والجليل. قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٧٢ .

(٥) الخزر: قبيلة من أصل تركي عاشت في منخفض الفولجا جنوب روسيا، وكوّنت مملكة كان حكامها وبعض سكانها يدينون بعبادات وثنية، ولكنهم تحولوا إلى اليهودية، ويُنطق الاسم أحيانا "خازار" كما هو الحال في العربية. موسوعة المسيري جـ٢ صـ٢١٣.

مع مثل هذه التناقضات، فهو لا يشعر بالأمن أو الاستقرار إلا في عالم واحدي مادي كل الأمور فيه بسيطة، ويمكن ردها لعنصر مادي واحد يُدرك بالحواس الخمس، مثل العِرْق وشكل الأنف وحجم الرأس) (١).
فادعاء نقاء الجنس اليهودي لا أساس له من الصحة، وإنما هو نوع من التنصل من الآدمية لإثبات تميز عرقي لا يشركهم فيه أحد من الناس، وهي محاولة يقف خلفها خلل نفسي متأصل في الشخصية اليهودية، التي تريد أن تحتكر المكان والمكانة والزمان والإنسان لصالحها، وتوقف باقي الإنسانية على هامش الحياة كأعداء يجب التخلص منهم، أو خدم يقومون بدورهم في خدمة أبناء الله وأحبائه.
وهم في طريقهم لتحقيق هذا العزل لأنفسهم ولغيرهم يشنون حربا لا أخلاقية شرسة، يهريقون فيها دماء الفضيلة والشرف والإنسانية، ويستخدمون وسائل قذرة بلا حدود، فكل شيء متاح، وكل شيء حلال، الجنس والمخدرات، والدعاية الكاذبة، والزور والتحريف والإفك والتعالي.
ويستندون فكريا وتربويا إلى الزور الذي ينسبونه كذبا إلى الله تعالى، وهو العهد القديم الذي حُشي كذبا وافتراء على الله تعالى وأنبيائه ورسله.
وفيما يلي إكمال للكشف عن هذه المرجعية الفكرية التي تكشف لنا خلفية السلوك اليهودي اللأخلاقي والإجرامي.

خرافات العهد القديم:

يسقط العهد القديم سقطة تؤكد يقينا بشرية اليد التي افترت هذا الإفك، إنها قصة "وَحَم الخراف" تلك الحيلة التي لجأ إليها يعقوب – بزعمهم– ليحصل على أجرته من خاله، جاء في العهد القديم:
(وحدث لما ولدت راحيل يوسف أن يعقوب قال للابان: اصرفني لأذهب إلى مكاني وإلى أرضي، أعطني نسائي وأولادي الذين خدمتك بهم فأذهب لأنك أنت تعلم خدمتي التي خدمتك، فقال له لابان: ليتني أجد نعمة في عينيك، قد تفاءلت فباركني الرب بسببك، وقال: عَيِّن لي أجرتك فأعطيك. فقال له: أنت تعلم ماذا خدمتك وماذا صارت مواشيك معي، لأن ما كان لك قبلي قليل، فقد اتسع إلى كثير، وباركك الرب في أثري، والآن متى أعمل أنا أيضا لبيتي؟ فقال: ماذا أعطيك؟ فقال يعقوب: لا تعطيني شيئا، إن صنعت لي هذا الأمر أعود أرعى غنمك وأحفظها، اجتزْ بين غنمك كلها اليوم، واعزل أنت منها كل شاة رقطاء وبلقاء، وكل شاة سوداء بين الخرفان وبلقاء ورقطاء بين المعزى، فيكون مثل ذلك أجرتي، ويشهد في بري يوم غد إذا جئت من أجل أجرتي قدامك كل ما ليس أرقط أو أبلق بين المعزى وأسود بين الخرفان فهو مسروق عندي. فقال لابان: هو ذا ليكن بحسب كلامك، فعزل في ذلك اليوم التيوس المخططة والبلقاء وكل العناز الرقطاء والبلقاء، كل ما فيه بياض وكل أسود بين الخرفان، ودفعها إلى أيدي بنيه، وجعل مسيرة ثلاثة أيام بينه وبين يعقوب، وكان

---

(١) د.عبد الوهاب المسيري– موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية جـ٨٨، ٨٩.

يعقوب يرعى غنم لابان الباقية، فأخذ يعقوب لنفسه قضبانا خضرا من لبنى(١). ولوز(٢). ودُلبٍ(٣). وقشر فيها خطوطا بيضا كاشطا عن البياض الذي على القضبان وأوقف القضبان التي قشرها في الأجران في مساقي الماء، حيث كانت الغنم تجيء لتشرب تجاه الغنم لتتوحم عند مجيئها لتشرب، فتوحمت الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطا وبلقا، وأفرز يعقوب الخرفان، وجعل وجوه الغنم إلى المخطط وكل أسود بين غنم لابان، وجعل له قطعانا وحده، ولم يجعلها مع غنم لابان، وحدث كلما توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم في الأجران لتتوحم بين القضبان، وحين استضعفت الغنم لم يضعها فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب، فاتسع الرجل كثيرا جدا، وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير"(٤).

<u>في هذا النص مسائل:</u>

١- ليس في النص ما يدل على إنكار "لابان" خال يعقوب حق ابن أخته، بل اعترف ببركات الله عليه بسبب يعقوب، وعرض أن يُعْطِي يعقوب ما يريد، ولكن يعقوب – حسب زعمهم- كان يخطط لأمر آخر.

٢- هل الغنم تتوحم؟ وهل هذا الوحم يغير جيناتها الوراثية؟ هذه داهية من دواهي العهد القديم، مما يؤكد بشرية اليد التي كتبت، بل وجهلها المطبق، فمن المعلوم عند العقلاء قديما وحديثا، أن الحيوانات تلد أشباهها، وإذا حدث –نادرا- غير هذا، فقد نزعه عرق، أي أتي بالجينات المتنحية، حسب التعبير العلمي. أما أن تلد الأغنام بهذه الصورة الخرافية، فهذا ما لا يدعمه علم صحيح، ولا عقل سليم.

فيما يلي تحليل أحد مفكري النصرانية لهذه النصوص من العهد القديم، يقول: (ولكن نجد يعقوب مرة أخري يسقط في الحلول البشرية والخداع والمكر، فنجده يقشر أعواد بعض النباتات حتي تبدو منقطة ويضعها أمام الغنم التي ستلد حينما يجد الغنم قوية، وهو اعتمد علي فكرة(٥). الوحم عند الإناث اللواتي يلدن، .فحينما تتوحم الشاة التي ستلد وأمامها ألوان منقطة تكون الشاة المولودة منقطة، وهذه الفكرة موجودة حتي الآن، ولكنها لم

---

(١) لُبْنَى: اسم عبري معناه [أبيض] يطلق على شجرة تعرف في لبنان وسوريا، ... وهي الشجرة التي أخذ منها يعقوب القضبان (تك٣٠: ٣٧). قاموس الكتاب المقدس صـ ٨١٠ .

(٢) لَوز: تزهر باكرا في الربيع، وتستيقظ من سبات الشتاء قبل غيرها من الأشجار الأخرى. وهي منتشرة في فلسطين ولبنان وسوريا وشرق الأردن ... واللوز نوعان مر وحلو. قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٢١ .

(٣) دُلب: نوع من الشجر الذي ينمو عند جداول المياه وينمو إلى ارتفاع يتراوح بين ٧٠ و٩٠ قدما، وأوراق هذا النوع من الشجر تشبه كف اليد، أو تشبه أوراق شجر الجميز... ينمو في فلسطين كشجر بري على جوانب الجبال. قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٤٧ .

(٤) سفر التكوين ٢٥: ٤٣.

(٥) كان الأولى أن يقول: خرافة الوحم. والعجيب أنه يقول إنها موجودة الآن، نعم موجودة في قاموس الحوامل وعالم الأوهام.

تثبت علميًا(١). فنجد أن كثرة الغنم المنقطة القوية التي صارت ليعقوب كانت نتيجة بركة الرب وليس لخداعات يعقوب .هي عدم إيمان وثقة في وعود الله الذي قال له أنه يبارك .وهذا حدث مرتين في حياة يعقوب .فالله وعد رفقة بأن كبير يستعبد لصغير .والله وعده بأنه سيبارك وفي المرة الأولي خدع أبوه إسحق ليضمن البركة والمرة الثانية خدع خاله "لابان" ليضمن بركة لنصيبه .وكان الله سيعطيه البركة في المرتين دون خداع !وما نتيجة الخداع؟ إنه خدع مرتين (الأولي في موضوع "ليئة" والثانية في موضوع يوسف !!"كما فعلت يفعل بك"(٢))(٣).

وهنا نلحظ أن "القس أنطونيوس فكري" يصف يعقوب بالخداع والمكر والسقوط في الحيل البشرية، ولسنا ندري، هل سيغضب البابا إذا وصفناه بالخداع والمكر والسقوط في الحيل البشرية أم لا، بل إننا إذا وصفنا القس أنطونيوس بهذه الصفات فسوف يغضب ويقيم الدنيا ولا يقعدها، وقد يشكونا إلى المنظمات والهيئات الحقوقية؛ لأننا أهنّا رمزا نصرانيا فضلا عن البابا، فبالله يا ذوي العقول والألباب، كيف يُقبل وصف نبي ورسول بهذه الصفات، اللهم إن السداد والرشد في دينك دين الإسلام، حيث يوصف "يعقوب عليه السلام" بالكريم، في قول النبي ﷺ عن يوسف عليه السلام : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام" ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: "الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام"(٤).

هذا ما تقبله الفطرُ السليمة والعقول الرشيدة كتصور لخيرة الخلق والأدلّاء على الله تعالى، أما هذا الغثاء والتطاول فو الله إنهم – وهم الكاذبون على الله ورسله – ليعافون أن يوصفوا به!!!

٣- يلجأ يعقوب – بزعمهم الفاسد- إلى خيانة خاله، فيعطيه الضعيف من الغنم، ويستأثر هو بالقوي، وهذا ما لا يصح عند ذوي المروءة فضلا عن أنبياء الله ورسله.

الفرق بين وحي الله وبين أوهام البشر:

١- صح الحديث، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا من أهل البادية أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت على فراشي غلاما أسود، وإنا أهل بيت لم يكن فينا أسود قط، قال: "هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: "فما ألوانها؟" قال: حمر، قال: "هل فيها أسود؟ " قال: لا، قال: "فيها أورق؟ " قال: نعم، قال: "فأنى كان ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: " فلعل ابنك هذا نزعه عرق"(٥).

---

(١) وكان أحرى به أن يقول أن الذي ثبُت علميا عكس هذه الخرافات، فالجينات الوراثية هي التي تعمل عملها بإذن ربها سبحانه وتعالى، وإذا خالف الذريةُ أصولَها القريبة، فهذا يعني علميا أنها نزعها عرق، أي جاءت بصفات أصولها البعيدة.

(٢) عوبيديا ١-١٥. والفقرة "كما فعلتَ يُفعل بك، عملُك يرتد على رأسك".

(٣) أنطونيوس فكري – تفسير الكتاب المقدس (سفر التكوين) صـ٢٣٩- مكتبة الكتب القبطية الأرثوذكسية – الفجالة – مصر.

(٤) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات – حديث رقم:٣٢٢٥.

(٥) سنن ابن ماجه – كتاب النكاح باب الرجل يشك في ولده – حديث:١٩٩٩.

فلم يقُل النبيُ ﷺ للرجل: لعلها توحّمت على رجل أسود! حاشا لمقام النبوة الكريم وعصمة الوحي أن تقع في مثل هذا الغثاء، وإنما أحاله على حقيقة أثبتها العلم الآن، ولا يمكن أن يأتي ما يعارضها، وهي حقيقة "الجينات المتنحية" وهي جينات وراثية تأتي من الآباء الأقدمين.

وتلك سنة الله تعالى في أنبيائه ورسله؛ أنهم مسددون بتوجيه الباري سبحانه وتعالى.

لقد كان الرجل في شك من أمر زوجته، فإذا بالنبي ﷺ يُثلِج صدره، ويُذهب ريبه، ويعيده راضيا مطمئنا وفي نفس الوقت يُخبر عن حقيقة علمية يأتي العلم في سبحات تقدمه، وسماء تألقه ليثبتها ويثبت أيضا صدق نبوته ﷺ.

يقول أهل التخصص: تتميز الموروثات بأنها ذات نوعين: فهي إما تكون متغلبة، أي أن الصفات التي تنقلها تكون متغلبة، أو أنها تكون متنحية أي أن وجودها لا يحدد الصفة التي تحددها. فالصفات المتغلبة هي التي تسيطر على الناتج النهائي. أما الصفات المتنحية فتبقى في الخلايا، غير أنها قد لا تظهر إلا بعد جيل أو جيلين ... فعلى سبيل المثال يعتبر اللون الأسود هو الصفة المتغلبة في لون الشعر، إذا ما ورثت صفة الشعر الأسود عن والديك (الأب أو الأم أو كليهما) فإن شعرك سيكون أسود. غير أنه من المحتمل أن يرث الطفل شعرا غير أسود إذا ما كان كلا الوالدين يحمل بين مورثاته صفة لون شعر متنحٍ (كالأحمر مثلا) وهي صفة كان يحملها أحد الأجداد ضمن العائلة، وبنفس الطريقة فقد يولد لعائلة طفل ذا شعر أشقر حتى إذا كان كلا الوالدين ليسا شقراوين) (١).

وبعد هذا السقوط المُشين لمحرفي التوراة، إذا هم يجمعون إلى الجهل سوء الظن بيعقوب عليه السلام فيدّعون أنه عمد إلى خداع خاله ووالد زوجتيه من خلال وهم الوحم الذي توهموه؛ ليجمعوا ضغثا على إبالة، وظلمات بعضها فوق بعض.

٢-قال الله تعالى عن نبيه ﷺ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾(٢)، (أي أحق وأقرب إليهم { مّنْ أَنفُسِهِمْ } أو أشد ولاية ونصرة لهم منها فإنه عليه الصلاة والسلام لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم) (٣)، و عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾

---

(١) http://www.doctorinternet.co.uk/news/ahotissues.html

(٢) سورة الأحزاب: ٦.

(٣) شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني جـ١٦ صـ٤٢.

فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك دينا أو ضياعا، فليأتني فأنا مولاه"(١). فحاشا لنبي أن يرزأ أحدا في ماله بغير حق، أو يحتال على أموال الناس وحقوقهم، وإنما جاؤوا رحمة بالناس، وزيادة لهم في دينهم ودنياهم.

صورة عائلة يعقوب في الكتاب المقدس:

بعد أن رسم العهد القديم صورة قميئة ليعقوب ﷺ، ينتقل ليبشع صورة العائلة الكريمة التي اصطفاها الله تعالى واختارها من بين العالمين في عصر يعقوب ﷺ.

فإذا به يعرض لنا صورة مخزية لابنة يعقوب – بزعمهم– وهي تتعرض للاغتصاب، والعجيب أن العهد القديم الذي يهتم بالتفصيلات اهتماما غريبا، يكتفي بقوله "وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض، فرآها "شكيم بن حمور الحوي" رئيس الأرض، وأخذها واضطجع معها و أذلها"(٢).

دون أن يبين أنها قاومت أو صرخت أو طلبت غوثا أو نجدة، وكأن الأمر تم برضاها، وهذا يتطابق تماما مع ما حدث مع يهوذا بن يعقوب – حسب العهد القديم– حينما أخذ امرأة – ظنها زانية– واضطجع معها. هكذا "أخذها واضطجع معها" بسهولة، علما بأن العهد القديم – كما هو واضح جدا– يهتم بالتفصيلات اهتماما بليغا.

إن البيوت التي اصطفاها الله تعالى لتشهد جلال الوحي، ونسمات الشريعة، حاشا لها أن تُخذل فتتعرض لمثل هذا الخزي، وقد يُقال: أليس قد وُجد في هذه البيوت من كفروا بالله؟ كابن نوح ﷺ ووالد إبراهيم ﷺ وزوجتا نوح ولوط عليهما السلام؟ والجواب:

إن الكفر والإيمان قضايا اختيارية، وَكَلها الله تعالى لاختيار الناس، يقبلون أو يرفضون، وعند الله تجتمع الخصوم، لكن القضايا الأخلاقية هذه مسائل تتنزه عنها بيوت الأنبياء والمرسلين، بل الفضلاء من الخلق.

إن القوانين الأرضية ترى أن القتل ليس جريمة تُخلُّ بالشرف، ولكن الزنا جريمة تُخلُّ بالشرف، وهذا من بقايا الفطر السليمة، فما كان الله تعالى ليدسس على أنبيائه في بيوتهم وأهليهم.

ولو قال قائل، إنه اغتصاب، لا تُسْأل عنه البنت، ولا تُعاب به؟ فأقول: إنه ديدن العهد القديم الذي ينسب شرب الخمر والزنا – حتى زنا المحارم– إلى الأنبياء والمرسلين، كما ينسب زنا المحارم إلى أبناء الأنبياء، فهو ليس بدعا في منهج العهد القديم في تناول قصص الأنبياء وأبنائهم.

---

(١) صحيح البخاري– كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس– باب الصلاة على من ترك دينا حديث رقم ٢٢٩١. مرجع سابق.

(٢) سفر التكوين ٣٤ – ١، ٢.

ويخبرنا الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التكوين، أن "شكيم ابن حمور" الذي وقع بابنة يعقوب أراد أن يتزوجها، فذهب أبوه إلى يعقوب يطلب منه دينة لابنه شكيم، فطلب أبناء يعقوب منهم أن يختتنوا حتى يكونوا صالحين للتزاوج ببنات إسرائيل، ويتشاركوا معهم المعيشة، وقد فعل هؤلاء القوم، فاغتنم ابنا يعقوب "شمعون ولاوي" فرصة توجع هؤلاء القوم بسبب الختان، ودخلوا مدينتهم فقتلوا كل ذكر بها، وأتي بقية أبناء يعقوب، فنهبوا المدينة وسبوا النساء والأطفال.

فأي منطق آدمي يقبل مثل هذه البربرية، وإذا كان "شكيم" هو الذي فعل الخطيئة، فما ذنب أبيه؟ وما ذنب رجال المدينة أن يقتلوا بلا ذنب ارتكبوه، وما ذنب الأطفال أن ييتموا والنساء أن تَثْكلَ أولادها، وتُرمل عن رجالها، أي شرع هذا وأي دين.

والعهد القديم يُسعفنا بالتعليل لهذه المجزرة، بعد ذكر القتل والنهب والسبي "لأنهم نجسوا أختهم" ويسعفنا أيضا بقول يعقوب بعد أن علم بما حدث:" كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين، وإنا نفر قليل؛ فيجتمعون علي، ويضربونني فأبيد أنا و بيتي".

فكل ما يشغل هذا النبي – بزعمهم– أنه أصبح مكروها عند الكنعانيين والفرزيين، ويخشى أن يُضرب ويَبيد. ولا تعليق على قتل الأبرياء وسبي الأموال ونهب الثروات.

فهل هناك مرجعية فكرية أكثر موائمة لبربرية الفكر الصهيوني من هذا الإفك المبين؟!

أصنام في بيت النبوة –بزعمهم–:

جاء في سفر التكوين " فسرقت راحيل أصنام أبيها"(١). الفقرات السابقة على هذا النص تحكي أن يعقوب استشار زوجتيه بسبب ما فعله أبوهما معه، وأنهم وافقتاه في ضرورة خروجه إلى أرضه سرا، وعدم إخبار أبيهما، كما وافقتاه على الحيلة التي لجأ إليها للحصول على مال أبيهما، ثم إن راحيل توجت هذا بسرقة أصنام أبيها.

قد يقول قائل – يُحسن الظن– لعلها سرقتها حتى لا يعبدها أبوها، من باب النهي عن المنكر، ولكن الحق أنه ليس كذلك، فإن أحد قساوسة النصارى يشرح لنا الأمر فيقول:

(هذه غلطة أخري لـ"راحيل" فهي سرقت أصنام أبيها (الأصنام المذكورة هنا تسمي الترافيم)، وهي تماثيل صغيرة في شكل أشخاص، كان الوثنيون يضعونها في بيوتهم، ويتفاءلون بها، ويعتقدون أنها تجلب الخير ويستشيرونها، وقد سرقتها "راحيل" ربما بنفس المعاني، فهي تتفاءل بها ،وتُسَهّل لهم رحلتهم، وتمنع والدها من أن يستشير هذه الأصنام فلا يدركهم، وعجيب أن "راحيل" التي عاشرت يعقوب – رجل الله ورجل الصلاة– كل هذا العمر يكون لها مثل هذه المعتقدات الوثنية.

---

(١) سفر التكوين ٣١: ١٩.

هي تمثل المسيحي الذي مازال يحمل خطاياه في قلبه، وبسبب هذه الأصنام ثار "لابان" وكان ناويًا علي الانتقام ممن سرقها، وهكذا يفعل الشيطان مع كل من يحتضن خطايا في قلبه، فهو يطلب كل ما هو مختبئ فينا؛ لذلك يقول الكتاب " من يكتم خطاياه لا ينجح". (١).

وقد يُقال إن يعقوب لا يعرف بأمر هذه الأصنام، ولكن الكتاب المقدس يصحح لنا هذا الظن الحسن فيقول:" فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم، وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل؛ فأصنع هناك مذبحا لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي، وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه، فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم"(٢).

إن يعقوب يعلم – بزعمهم– وجود هذه الآلهة الغريبة في بيته، والتي يتبرك بها ويقصدها أزواجه وعبيده، والحال هنا في قصة يعقوب مختلفة عما وقع مثلا من زوجتي نوح ولوط عليهما السلام.

إذ ليس هناك عداء يُذكر في قصة يعقوب بين زوجتيه وعبيده وبين دينه، بل إنهم يطيعونه طاعة عمياء، وزوجتاه تقدمانه على أبيهما، فلماذا هذا الكفر الصريح؟ ولماذا يسكت يعقوب على هذا التبني للأصنام؟ ولماذا يسمح بأن تُحمل في ركابه، ولماذا لا ينهض للتخلص منها إلا بعد أن يطلب الله منه هذا؟ ولماذا لم يطلب الله منه التخلص منها حال اصطحاب زوجتيه لها؟ إلا إذا كانت عبادة الأصنام عملا مرضيا لا غبار عليه، أو أنه لا يتعارض مع التوحيد اليهودي؟!

أسئلة كثيرة، ليس لها إجابة إلا اليقين بعمل أيدي البشر في هذه النصوص، وتحويلها من ألق النبوة وصفائه إلى كدر التحريف وغبرته.

ولا يكاد العهد القديم يمضي قليلا بعد هذه الداهية، حتى يخرج علينا بإحدى الكبر.

العهد القديم يُثبت زنا المحارم في بيت يعقوب:

يقول العهد القديم: "وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا في تلك الأرض أن "رأوبين" ذهب و اضطجع مع "بلهة" سرية أبيه و سمع إسرائيل..." (٣).

ولم يُعلّق العهد القديم على هذه المصيبة، وإنما عقب فقط بقوله "وسمع إسرائيل" أي علم بما حدث، ثم اتجه الحديث بعد هذا إلى ذكر أسماء أبناء يعقوب، ثم رجوع يعقوب وحضوره موت أبيه إسحاق الذي مات عن مائة وثمانين عاما.

---

(١) تفسير الكتاب المقدس (سفر التكوين) صـ٢٤٤ مرجع سابق.

(٢) سفر التكوين ٣٥– ٢: ٤.

(٣) سفر التكوين ٣٥– ٢٢.

ويبدو أن الأمر هينٌ جدا لدرجة أنه لا يستحق التعليق، أو أن المصيبة عظيمة جدا بحيث لا يوجد الكلام الذي يمكن أن يُناسب الحال، ولكن أليست هناك عقوبات، أليس هناك تأنيب أو لوم أو عتاب؟ يخبرنا العهد القديم تمّ بينما كان يعقوب على فراش الموت(١)، أليس يُفترض أن هذا الكتاب كتاب هداية، يستنير به الأجيال اللاحقة، ويتخذون منه أقباسا يستنيرون بها في حياتهم، ويصححون أخطاءهم؟ ومن ثم فمن الطبيعي أن يُشفع هذا الخطأ الفادح بعقوبة زاجرة رادعة، وبيان يبين الصواب من الخطأ والحق من الباطل!؟

حاشا لله أن تكون هكذا بيوت الأنبياء، بل حاشا للكرام ولذوي المروءات أن يحدث في بيوتهم مثل هذا الفساد المتواتر والشر المستطير.

ولو أننا غيرنا الأسماء فقط، ثم قلنا لأي أحدٍ اقرأ هذه الأحداث، ثم قيّم هؤلاء الناس، لصنف هذه الفعال وأصحابها في دركة يعافها أقلُّ خلق الله.

ولعل الفضول ينتاب المسلم ليقف على تفسير القوم لهذا الأمر، وهاك تفسير "القس أنطونيوس" فكري لهذه الفقرات، يقول:

وهنا حدثت خطية "رأوبين" البشعة التي فقد بسببها البكورية، والذي ظل يعقوب يذكرها له بمرارة حتي فراش الموت(٢). وقوله: (وسمع إسرائيل) يعني أنه لم يتكلم، لكنه كتم في قلبه مرارة لا يمحوها الزمن ولا الكلام، و"رأوبين" ظن أنه فعل في الخفاء لكن ليس مكتومًا إلا ويُعلن، ويستطرد القس "أنطونيوس فكري" قائلا:

ملحوظة أخيرة علي حياة يعقوب:

لماذا اختار الله يعقوب وترك عيسو؟ بالرغم من كل ضعفات يعقوب وسقطات أبنائه، الله احتمل ضعف يعقوب وكان يُكمّله ويؤدبه، ويعقوب خاضع بين يديه، ومستسلم للتأديب، أما "عيسو" الوحشي في طبعه فهذا لا يخضع لعمل الله في حياته، فهناك خطيتين لا يحتملهما الله:

١ .الكبرياء. ٢ .الوحشية والقسوة وحب الانتقام " أقوم وأقتل أخي"

هذه الخطايا تمنع عمل الله في الإنسان؛ فلا يتكمل ولا يتأدب بتأديب الله ويكون مصيره الرفض(٣).

---

(١) سيأتي بيانه في الحاشية التالية.

(٢) جاء في سفر التكوين في أول الإصحاح التاسع والأربعين "ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام، اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب وأصغوا إلى إسرائيل أبيكم. رأوبين أنت بكري قوتي، وأول قدرتي، فضلُ الرفعة وفضل العز، فائرا كالماء، لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته على فراشي صعد" الفقرات من ١: ٤.

وباقي الإصحاح يخبرنا عن نبوءات إسرائيل لبنيه، ولو أننا عقدنا مقارنة بين جمع يعقوب لأبنائه كما جاء في العهد القديم، وجمعه لهم كما ذكره القرآن الكريم لوجدنا فرقا هائلا، وبونا شاسعا، ففي القرآن الكريم يجمعهم يعقوب عليه السلام ليتفقد فيهم أشرف =ما أمره الله به، يقول الباري تمجد وتقدس ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٣.

(٣) تفسير العهد القديم (سفر التكوين) صـ٢٦٤ مرجع سابق.

ويتساءل المتأمل: أين وحشية "عيسو"؟! ما هو صور هذه الوحشية التي ذكرها العهد القديم؟ هل تحايل على أبيه ليسرق البكورية؟ هل حاول قتل أخيه يعقوب؟ هل احتال على خاله؟ هل عُبدت الأوثان في بيته، وعلى عينه؟ هل سكت على قتل النفوس ونهب الأموال؟ هل حدث في بيته شيء من المخازي؟ أين وحشية عيسو؟ إنه لون من التمحل واستجداء الدروس من اللاموجود؛ إمعانا في إرخاء حب الرجاء لليهود والنصارى الساقطين(١)،. والمعنى: افعل كيف تشاء، ولا تشعر بالهوان لأي خطيئة فطالما أنك لم تتكبر فلا بأس!!! فأي وحشية مغفورة، وأي استطالة على الغير هينة، وأي خطيئة يسيرة، فالله يتحمل ضعف قلوبكم ويعمل في تأديبكم وتكميلكم!!!

وأقول: تلك هي المعادلة النفسية البشعة التي يُربّى عليها اليهود (والنصارى أيضا)، فالله معكم فأنتم أبناؤه وأحباؤه، مهما صنعتم، ومهما أجرمتم، فاعترافكم كفيل بغفران الذنوب وستر العيوب وعتق الرقاب من النيران.

إن الدماء والأموال والأعراض، وبوجه عام حقوق الناس مهما كانوا، مسلمين أم غير مسلمين، مُصانة ومحفوظة، ولا يصح التعرض لها، وهي بين العبد وبين أصحابه، وليست على رجاء المغفرة إلا أن يتحلل الجاني من أصحابها، فحقوق الله تعالى مبنية على المسامحة، أما حقوق العباد فهي مبنية على المشاحّة، والحرام في الإسلام حرام مع المسلم وغير المسلم، السرقة من المسلم كالسرقة من غير المسلم، وانتهاك أعراض غير المسلمين كانتهاك أعراض المسلمين، وهكذا، تلك هي الصيغة التي يُربي عليها المسلم، وتلك هي الصبغة التي صبغ بها الإسلام أبناءه وأتباعه ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾(٢). وذلك هو المنهج الذي يتقلب المسلم بين أطباقه، وذلك هو القالب على الذي يُصب المسلم فيه، فيخرج للناس إنسانا يسْلم الخلق جميعا من لسانه ويده.

أما هذا التحلل في الفكر، والهمجية والوحشية في السلوك، فحاشا أن تكون وحيا سماويا، إنما هي قطرات النار من قلوب محمومة من البغض للإنسانية، مترعةٍ بالشهوة، كارهة للحياة والأحياء، ألا ساء ما يفترون، وقبُح عند الله وعند بني آدم ما يفعلون.

---

(١) أذاعت الـ سي إن إن الأمريكية خبرا مريعا، وهو قيام قسيس أمريكي أسود بالزنا بابنته وأقنعها بما في العهد القديم من القصة المزعومة للوط مع ابنيه، ولما ضبطته زوجته مع البنت في الحمام، حدث بينهما نزاع شديد، فقتلها هذا القسيس، ودفنها قريبا من الكنيسة، ثم أعادها مرة أخرى إلى البيت حيث وضعها في "ثلاجة" لمدة أربع سنوات حتى تم اكتشاف ذلك عن طريق الشرطة بإعلام من أبنائه، وقد تم إلقاء القبض على القسيس وهو يُلقي موعظة عن التسامح. وهكذا أصبح العهد القديم مرجعية لزنا المحارم، وغير ذلك من المخازي التي يفضح الله به المفترين عليه.

(٢) سورة البقرة: ١٣٨.

يهوذا بن يعقوب يزني بـ"ثامار" كنته(١)" وفلسفة الزنا العجيبة:

جاء في العهد القديم (وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته، ومال إلى رجل "عدلامي"(٢). اسمه حيرة، ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه "شوع" فأخذها ودخل عليها، فحبلت وولدت ابنا ودعا اسمه "عيرا" ثم حبلت أيضا وولدت ابنا ودعت اسمه "أونان"، ثم عادت فولدت أيضا ابنا ودعت اسمه "شيلة" وكان في "كزيب" حين ولدته وأخذ يهوذا زوجة لـ"عير" بِكْرِهِ اسمها "ثامار"، وكان عير بكر يهوذا شريرا في عيني الرب فأماته الرب، فقال "يهوذا" لـ"أونان" ادخل على امرأة أخيك، وتزوج بها، وأقم نسلا لأخيك، فعلم أونان أن النسل لا يكون له، فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلا لأخيه، فقبح في عيني الرب ما فعله؛ فأماته أيضا، فقال "يهوذا" لـ"ثامار" كَنّته: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر "شيلة" ابني؛ لأنه قال لعله يموت هو أيضا كأخويه، فمضت "ثامار" وقعدت في بيت أبيها، ولما طال الزمان ماتت ابنة "شوع" امرأة "يهوذا"، ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى "تمنة" هو و"حيرة" صاحبه العدلامي، فأُخبِرت "ثامار" وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى "تمنة" ليجُزّ غنمه فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل "عينايم" التي على طريق "تمنة" لأنها رأت أن "شيلة" قد كبر وهي لم تعط له زوجة، فنظرها "يهوذا" وحسبها زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها، فمال إليها على الطريق وقال: هاتي أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كَنّته، فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل علي، فقال: إني أرسل جدي معزى من الغنم، فقالت: هل تعطيني رهنا حتى ترسله، فقال: ما الرهن الذي أعطيكِ؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها ودخل عليها، فحبلت منه، ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها، فأرسل يهوذا جدي المعزى بيد صاحبه العدلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة فلم يجدها، فسأل أهل مكانها قائلا: أين الزانية التي كانت في "عينايم" على الطريق، فقالوا: لم تكن ههنا زانية، فرجع إلى "يهوذا" وقال لم أجدها، وأهل المكان أيضا قالوا لم تكن ههنا زانية. فقال يهوذا: لتأخذ لنفسها؛ لئلا نصير إهانة أني قد أرسلت هذا الجدي، وأنت لم تجدها، ولما كان نحو ثلاثة أشهر أُخبر "يهوذا" وقيل له: قد زنت "ثامار"

---

(١) من الفعل كنن، والكَنّةُ امرأة الابن أو الأخ، وجمعها كنائن. أساس البلاغة لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جـ٢ صـ١٩٤- تحقيق محمد باسل عيون السود- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ=١٩٩٨م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(٢)عَدُلاَّم: اسم عبري معناه ملجأ وهي إحدى المدن التي كانت من نصيب سبط بني يهوذا مع ضياعها (تك٣٨: ١ ويش١٢: ١٥، ١٥: ٣٥) وكانت تذكر بين بلدتي يرموث وسوكوه. وهي كنعانية الأصل، سكنها الكنعانيون منذ أيام يعقوب (تك٣٨: ١ و٢) وذكر اسمها أيام فتح بني أسرائيل لأرض الموعد (يش١٢: ١٥) إذ كان ملكها أحد الملوك الذين ضربهم يشوع. ثم حصنها رحبعام (٢ أخ ١١: ٧) واستمرت في شهرتها حتى أيام النبي ميخا (مي١: ١٥). واستوطنها اليهود بعد العودة من السبي (نح١١: ٣٠) وموقعها تل شيخ مذكور. وفيه كانت المغارة التي اختبأ داود فيها وجعلها مركز قيادته (١ صم ٢٢: ١ و٢ صم ٢٣: ١٣ و١ أخ ١١: ١٥). ويقال أنها مغارة وادي قريطون (قرب بيت لحم) وطولها أكثر من مئة وستين مترا. وتسمى أيضا مغائر عيد الماء، وتتسع لمئات الرجال.

كَنّتك، وها هي حبلى أيضا من الزنا، فقال يهوذا: أخرجوها فتُحرق، أما هي فلمّا أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: مَن الرجل الذي هذه له أنا حُبلى وقالت: حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه، فتحققها "يهوذا" وقال هي أبَرّ مني...) (١).

هذه كارثة أخرى، وليست أخيرة، والقارئ للفقرات يقف على المسائل التالية:

١-اشتراع اليهود كذبا وافتراء نسبة أبناء الأخ لأخيه المتوفى، فإذا تُوفّى أحد اليهود، تزوج أخوه من امرأته ليقيم له نسلا، فينسب الأولاد للمتوفى من دون أبيهم.

٢-تغطية الوجه كانت سيما الزانيات اليهوديات! "فنظرها "يهوذا" وحسبها زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها".

٢-التهاون التي يذكر بها العهد القديم زنا "يهوذا". فلا تعليق على فعله، وكأن معاقرة الزنا مع زانية لا مشكلة فيه، فطالما أنّها امتهنت الزنا حرفة فلا مشكلة، ولعل هذا مرجعية شرعية -عندهم- للزانيات اللواتي تضج بهن كثير من الشوارع في أمريكا وأوروبا، ممن يسمون بـ "الْهَكَر". فإذا كان أبناء الأنبياء يفعلون هذا فهو حلال، والعهد القديم لم يعلق على المرأة وفعلها، فلا مشكلة إذا، كما أن هذا فرصة ذهبية لرجال الدين الفاسدين الذين يتخذونها ذريعة للتهوين من شأن الزنا، وقد سمعنا مؤخرا عن فضائح الكنيسة الكاثوليكية، وليس أحبار اليهودية من هذا ببعيد(٢).

٣-ينتهي ذكر العهد القديم لهذه الكارثة عند قول "يهوذا" :"هي أبر مني". فلا مشكلة إذا، إذا كان ابن النبي هو الذي زنا، فلا جريمة إذا، ومن ثمّ فلا عقوبة.

أين هذا المستنقع الآسن من النموذج الإسلامي الطاهر؟!

عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية(٣). التي سرقت، فقالوا: ومن يُكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ فكلمه أسامةُ، فقال رسول الله ﷺ: "أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها(٤)."(٥).

---

(١) سفر التكوين: ٣٨- ١: ٢٦.

(٢) إبان شهر مارس ٢٠١٠م، وقد فتحت رئاسة الكنيسة الكاثوليكية خطا مفتوحا لمن تريد أن تشكو من تحرش رجال الدين.

(٣) بنت الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. أسلمت وبايعت، وهي التي سرقت فقطع النبي، صلى الله عليه وسلم، يدها. الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٨ صـ٢٦٣-تحقيق إحسان عباس- الطبعة الأولى-١٩٦٨م-دار صادر -بيروت- لبنان..

(٤) وحاشاها عليها السلام ورضي الله عنها أن تفعل.

(٥) صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب ذكر أسامة بن زيد ﷺ - حديث رقم٣٥٢٦تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا-الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م-دار ابن كثير -اليمامة-بيروت-لبنان.

المنهج الإسلامي في التعامل مع الضعف الإنساني في مجال الشهوة:

أولا: اعترف الإسلام بفطرية الميل بين الرجل والمرأة، قال تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(١)، وفي هذا تخفيف لعبء الشعور الكاذب بالذنب الذي زرعته الكنيسة في نفوس الناس، ومن قبلها المذاهب الروحية التي اعتمدت تعذيب النفس منهجا للوصول إلى الطهر والنقاء، ومن بين صور تعذيب النفس حرمانها من شهواتها، وقد بقيت صورة هذا الفكر في حرمان رجال الدين من الزواج، إذ إنه سلوك مشين ينبغي أن يتنزه عنه رجال الدين، الذين هم المصفاة التي تصفي الناس من ذنوبهم وتؤهلهم لملكوت الله، وقد ظل هذا زمانا طويلا حتى زمان الإصلاح الديني في أوربا على يد "مارتن لوثر" متأثرا بما هو كائن في المحيط الإسلامي، حيث سمحت بعض الطوائف النصرانية بعد ذلك لرجال الدين بالزواج.

وقد بين القرآن فطرية هذا الميل، وجعل له متصرفا طبيعيا هو الزواج، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(٢).

ثانيا: أغلق الإسلام الأبواب التي تؤدي إلى الفاحشة، من خلال ما يلي:

أ-الأمر بالتستر والحجاب، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾(٣)، وبصرف النظر عن الخلاف بين العلماء في مسألة وجوب تغطية الوجه أو عدم تغطيته، فإن الحد الأدنى المتفق عليه بين الجميع، وهو ستر جميع بدن المرأة ما عدا الوجه والكفين كاف في تحقيق الستر، وعون على تحصين الشباب والفتيات.

ب-الأمر بغض البصر، قال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾(٤)، مع تأكيد رقابة الله تعالى واطلاعه على السر وأخفى.

ج-تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل حليلته الحمام، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان"(٥).

---

(١) سورة آل عمران: ١٤.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٩.

(٤) سورة النور ٣٠، ٣١.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل- من مسند بني هاشم، مسند جابر بن عبد الله ﷺ- حديث رقم:١٤٣٨٧.

وليس المقصود أبدا –معاذ الله– تصوير الرجال والنساء كتلا شهوانية تتحرك، ما إن تلتقي وتختلي حتى تلتحم ساقطة في أتون الفاحشة، وإنما المقصود سد الذرائع المؤدية إلى الفاحشة، وهذا من مقاصد الشريعة ومبانيها العظيمة في بناء المجتمع المسلم وتحصينه.

د–الدعوة إلى العمل، فالطاقة الحيوية في الإنسان واحدة(١)، إن تصرفت في جانب البناء عَرِي عنها جانب الهدم، وقد قال الشاعر: إن الفراغ والشباب والجَدة مفسدة للمرءِ أي مفسدة(٢).

فالشاب الذي يعمل؛ يُهدرُ طاقته في البناء، بناءِ نفسه وكفايتها، وبناءِ مجتمعه، ولن يَجِدَ مُتسعًا من الوقت ولا الطاقة لإهدارهما في الهدم، فنفسه عزيزة عليه أن يهينها، ووقته غالٍ أن يضيعه في التسكع والدوران في فراغ العدم، وبدنه كريم يُبذل في معالي الأمور.

وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ"(٣).

كما نهى عن مسألة الناس من غير حاجة وتوعد أهله بالعذاب والخزي يوم القيامة، ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم" (٤)، هذا إلى جانب إراقة ماء الوجه، وفقدان الحياء، وإهدار كرامة الإنسان.

هـ–شرع الصوم لاستنفاذ الطاقة في طاعة الله تعالى، وإفساحُ المجال لإعادة البناء الجسدي والروحي للإنسان، قال ﷺ:قال لنا النبي ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"(٥).

ثالثا: العقوبات الشرعية: وهي عقوبات لا تستثني شريفا، ولا تُجحف حق ضعيف، فالجميع أمام حدود الله سواء، وقد بين النبي ﷺ أن سبب هلاك الأمم السابقة كان بالمحسوبية في تطبيق أحكام الله تعالى، قال ﷺ:"إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها(٦)."(١).

---

(١) ذكر الأستاذ محمد قطب في كتابه "الإنسان بين المادية والإسلام" أن الطاقة الحيوية في الإنسان كالأواني المستطرقة التي يوصل بعضها إلى بعض، فالطاقة الحيوية إذا أُهدرت في الخير لم يبق منها شيء للشر.

(٢) تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري – خزانة الأدب وغاية الأرب جـ٢ صـ٢٦٦– تحقيق عصام شعيتو– الطبعة الأولى–١٩٨٧م– دار ومكتبة الهلال– بيروت– لبنان.

(٣) صحيح البخاري كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده حديث رقم ١٩٦٨ –تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا–الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م–دار ابن كثير –اليمامة–بيروت–لبنان.

(٤) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب من سأل الناس تكثرا – حديث رقم١٤٠٥ مرجع سابق.

(٥) صحيح البخاري – كتاب النكاح – باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج حديث رقم ٤٧٧٨ مرجع سابق.

(٦) وحاشاها عليها السلام ورضي الله عنها أن تفعل.

وعقوبة الزنا بمفهومه الشرعي(٢) الجلد مائة جلدة والتغريب عاما للزاني غير المحصن، والرجم للزاني المحصن. وتطبيق حدود الله تعالى كفيل بالأخذ على أيدي المنفلتين، فيكونون عبرة لغيرهم ولأنفسهم.

هذه إطلالة سريعة على المنهج الإسلامي في التعامل مع هذه الغريزة التي أودعها الله تعالى نفس كل حي، وأقام عليها سنة الاستخلاف في الأرض، وهي غريزة مُلِحَّة متكررة، فتَعَامَلَ معها بطهر ونقاء وواقعية، أفسح لها مجالات الحلال، وجعل لها متنفسا عن طريق الطاعات إن أعوز الإنسانَ الوصولُ إلى الحلال، فأثمرت بفضل الله تعالى راحة وسعادة، وسكنا ومودة، وثمارا تزهو على الناس بشرف أصلها وطيب محتدها(٣).

أما ما يعرضه العهد القديم من صور للانفلات الخلقي في بيوت يُفترض أنها قبلة الناس في الخير والهداية، فهذا ما لا يقبله المنطق والعقل.

ولربما سمعنا بعض الأصوات المضحكة تقول: إن هذا طبيعي حتى يكونوا قدوة للناس في الخير والشر، وليفسحوا باب الرجاء للناس، وعندئذ سنقول لهم: إذا اسمحوا لرجال مكافحة المخدرات من الشرطة بتعاطي المخدرات ليكونوا قدوة للناس، واسمحوا للقضاة بالرشوة والظلم ليمثلوا الناس حقيقة، واسمحوا لولاة الأمر بالولوغ في الخطايا ليمثلوا الناس بواقعية!!!

أي هراء، وأي هذيان هذا، يُراد للإنسانية أن تنساق وراءه، إن الأنبياء والمرسلين هم نماذج الخير، ومصابيح الهدى، وأقباس النور، ونفحات الطهر، ومُزن الرّي الروحي والبدني، والأدلاء على الله تعالى، وحاشا لعاقل أن يقبل تلك الصورة القميئة – التي يعرضها هؤلاء الكاذبون – لأنبياء الله ورسله.

وها هو القسيس أنطونيوس فكري يكمل لنا تحليله لهذه الواقعة فيقول:

(كبر شيلة ولم يف يهوذا بوعده ويزوجه لـ"ثامار"، و"ثامار" اشتهت أن يكون لها نسل، فهي عاشت وسط عائلة "يعقوب" وسَمِعَتْ عن أن المسيح سيأتي من نسلهم، فقبلت أن تعرض حياتها للخطر، وقامت بدور زانية؛ لتحصل علي نسل، وتغطت ببرقع، ليس فقط حتي لا يعرفها يهوذا، ولكن كانت الزواني لا يضعن برقعًا، وأما ناذرات أنفسهن للزنى – وهذه كانت عادة كنعانية في الهياكل الوثنية– كن يضعن برقعًا.

وكان هؤلاء يذهبن للهياكل الوثنية، وينذرن أنفسهن لمدة سنة، ويحصلن علي أجرهن من الزنا يتبرعن به للهيكل، وكانوا يسمون الزانية: "قدشة" أي "قديسة" ولاحظ أن يهوذا تموت زوجته وأولاده، ثم يذهب ليزني ويسمي هذا تعزية، وأما "ثامار" الوثنية فقبلت أن تكون كزانية حتي يأتي منها نسل قد يكون المسيح.

---

(١) صحيح البخاري – كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ – باب ذكر أسامة بن زيد ﷺ – حديث رقم٣٥٢٦ مرجع سابق.

(٢) الزنا: إيلاج الذكر بفرج مُحرم لعينه خال عن الشبهة المسقطة للحد مُشتهًى، والحَدُّ: الجلدُ والتغريب على غير المحصن، والرجم على المحصن بالنص والإجماع. ويمكن مراجعة شرح التعريف والمحترزات عليه في. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج لشمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني جـ٤ صـ١٦٥ بتصرف–الطبعة الأولى–١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م–دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان.

(٣) المحْتِدُ: الخالص من كل شيء، وقيل الأصل. لسان العرب جـ٣ صـ١٣٩ –الطبعة الأولى–دت–دار صادر–بيروت–لبنان.

ويُكمل شارح سفر التكوين قائلا: نحن لا نبرر الخطأ الذي ارتكبته، لكن كان مما يؤكد شهوتها لأن يكون لها نسل مقدس أنها عاشت بعد ذلك مع يهوذا، دون أن تعرفه. فكان كل ما تريده هو النسل وليس الشهوة الخاطئة في حد ذاتها. لذلك قال عنها "يهوذا" هي أبَرُّ مني" وبهذا العمل الإيماني تأهلت "ثامار" أن تكون جدة للسيد المسيح، دمها يجري في عروقه، وقد سجل "مَتّى" اسمها في أنساب السيد المسيح (١). (بينما لم يسجل اسم سارة ورفقة. وصارت تشير لكنيسة الأمم التي كانت كأرملة مهجورة، فصارت كنيسة مقدسة للرب"(٢).

ويمكن أن نستنتج من كلام القسيس أنطونيوس فكري ما يلي:

١-الغاية تبرر الوسيلة، والنوايا الحسنة تبرر الفواحش والآثام الكبار!

٢-الزنا عمل إيماني إذا صحت نية الزانية في قصدها من الزنا!

فبالله يا أولي الألباب إلى أي منطق نحاكم هؤلاء، إلى منطق دينهم الذي جرّم الزنا والزناة، أما إلى منطق العقل السليم الذي يرفض نسبة هذا الإفك لبيوت الأنبياء؟!

كيف يمكن لنصراني فيه مسكة من عقل أن يقبل أن يأتي المخلص عن طريق الزنا؟

وهناك تفسير آخر لنفس النصوص لـ "تادرس يعقوب ملطي(٣)." يقول: "ثامار" التي كانت تشتهي ككل سيدة عبرانية أن يأتي من نسلها المسيا المخلص قبلت أن تعرض حياتها للخطر، فخلعت ثياب ترملها وارتدت برقعًا على وجهها ولم تخجل من أن تظهر كزانية، ليس من أجل شهوة الجسد؛ إنما من أجل الإنجاب، فقد التصقت بِحَمِيّها وهو رجل قد كبر في السن ... وتظهر طهارتها أنها إذْ كشفت الأمر لم تطلب بعد الزواج بأخي رجلها، إنما عاشت مع حميّها، وقد قيل "لم يعد يعرفها أيضًا"، مِن أجل إيمانها(٤). اشتهت أن تُنجب، أما "يهوذا" ففي كبر سنه ارتكب الزنا... لذا يقول: "هي أبر مني(٥)."...

---

(١) إنجيل متى: ١- ٣.

(٢) القس أنطونيوس فكري – تفسير الكتاب المقدس – سفر التكوين صـ٢٨٠، ٢٨١. مرجع سابق.

(٣) موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس-http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-YacoubMalaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-38.html والكنيسة في ٣٥ شارع محمد فؤاد جلال – الإبراهيمية- الإسكندرية- مصر.

(٤) إذا كان الإيمان داعية إلى الزنا، فماذا ينتظر هؤلاء العميان من الشباب والفتيات؟ غير أن يقبلوا على الإيمان المسيحي بكل نهم وشغف، لعله أن يخرج من أصلابهم قديسين أو أشخاصا يعززون كنيسة الرب؟؟؟

(٥) هل يعني هذا أن كلا منهما "بارٌ" ولكن "ثامار" أبرّ منه؟ فالمفاضلة هنا في البر، وذلك لأن "ثامار" زنت ولكن كانت نيتها صالحة، ليت شعري: كم زنت امرأة في إسرائيل طمعا في مجيء المخلص من نسلها؟!

وقد صارت "ثامار" مثلاً حيًا يمنعنا من الإدانة مهما كانت علامات الخطية تبدو واضحة وملموسة(١). وقد علق القديس "أمبروسيوس" كثيرًا على هذه العبارة "هي أبر مني" في حديثه عن التوبة، سائلاً كل إنسان – حتى الأسقف – ألا يدين أحدًا بل يترفق ويحنو على الخطاة، فمن كلماته: [يا رب هب لي أن تكون سقطات كل إنسان أمامي، حتى أحتملها معه، ولا أنتهره في كبرياء، بل أحزن وأبكي، ففي بكائي من أجل الآخرين أبكي على نفسي، قائلاً "هي أبر مني")(٢).

هذه فلسفة القوم لتبرير الفجور والخنا!!! هذا ما يضحك به هؤلاء الكاذبون على الناس في أقبية الكنائس والمعابد، وهذا أيضا ما يفتح باب الزنا على مصراعيه، فالزنا عمل إيماني، وطالما حسنت النوايا، فالزنا عمل إيماني، ولو رأيت رجلا مع امرأة أجنبية عنه في وضع الفاحشة، فانتظر ولا تحكم فلعل هذه العلاقة علاقة إيمانية بريئة!!!

لقد فتح الإسلام أبواب الرجاء أمام المخطئين، وأبواب الرجاء تُفتح بالتوبة، والتوبة تعني: الإقلاع عن الذنب، والندم على الفعل، والعزم على عدم العود، والتحلل من الخطايا في حقوق الآخرين، هذا هو الرجاء البصير، الذي يفتحه الإسلام أمام المخطئين، مع وجود العقوبة الرادعة، التي تردع الفرد نفسه عن الفعل، وتردع غيره عن مقارفة ما قارف؛ فيصيبَه ما أصاب الجاني.

وحينما جاء شاب إلى رسول الله ﷺ –في محضر الصحابة ﷺ– وطلب إليه الرخصة في الزنا(٣).، لم يعنفه النبي ﷺ، لأنه ﷺ رأى –وهو رسول الله– أن الشهوة المستعرة في قلب هذا الشاب، والتي دفعته لتخطي

([1]) نعم، فإذا ضبطنا رجلا وامرأة متلبسين بالزنا، فيجب أن نتوقف حسب رؤى أصحاب القداسة! لعل للزانيين نية حسنة من وراء هذا الزنا؛ فتكونَ هذه النية مبررا للزنا، بل يستحقون بنيتهم تلك رضوان المسيح وفضله العظيم؟!

([2]) موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس-http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-38.html مرجع سابق.

([3]) والحديث كما في مسند الإمام أحمد: عن أبي أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: "ادنه، فدنا منه قريبا". قال: فجلس قال: "أتحبه لأمك ؟ " قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " . قال : " أفتحبه لابنتك؟ "قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه لأختك؟ "قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟ "قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟ " قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. مسند الأنصار حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو- حديث:٢١٦٥٤. والحديث أخرجه أيضا الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الجهاد حديث رقم ٢٣٣٨. وأبو داود في سننه كتاب الجهاد باب في النهي عن السياحة حديث رقم٢١٤٠. والبيهقي في السنن الكبرى كتاب السير باب في فضل الجهاد في سبيل الله حديث رقم ١٧٢١٤. والطبراني في المعجم الكبير باب الصاد، ما أسند أبو أمامة حديث رقم ٧٥٣٥.

حواجز العقل والمنطق، وحواجز الحياء من الناس، وحواجز الخوف من الافتضاح على رؤوس الخلق، هذه الشهوة المستعرة لن يطفئها التعنيف ولا الضرب والتعزير، كما لن يطفئها أن يُقال له: إن الزنا حرام، وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾(١). ولا قوله تعالى ﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾(٢). وإنما لا بد أولا من هدّ بنيان الشهوة المستعر فيه، بتخييل صورة هذا الفعل الفاضح يُمارس مع أهل بيته، من أمهات وأخوات وعمات وخالات، وهذا كفيل بهزه هزة عنيفة، وإيقاظ المروءة فيه، والتي تقود بدورها إلى إيقاظ الدين الذي يحفظ الناس مني كما يحفظني من الناس، والمصطفى ﷺ لم يقل له: أترضاه لأمك وأختك وعمتك وخالتك مرة واحدة، وإنما كان يقول له في كل مرة: أترضاه لأمك، فيجيب لا، فيقول: وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم، ويكرر: أترضاه لكذا، وكل سؤال في كل مرة هزة عنيفة وإيقاظ للمروءة، وإطفاء لنار الشهوة التي أضرمها فيه الشيطان.

هكذا الدعوة بالحسنى وبالتي هي أحسن، دون أن نفلسف الشر، ونؤطر الباطل، ونؤسس مبررات للشباب والفتيات للوقوع في الزنا مقتدين بسلفهم الفاسدين، وآبائهم الملوثين.

ويكمل "تادرس يعقوب مالطي" فلسفته لتلك الفضيحة فيقول:

(لنفرض أن فتاة قد سقطت، إذ خدعتْها وجرفتها ظروف مثيرة للخطايا – حسنًا، ونحن الأكبر سنًا قد نسقط أيضًا – إنه فينا نحن أيضًا ناموس الجسد يحارب ناموس أذهاننا، ويجعلنا أسرى للخطية، حتى أننا نفعل ما لا نريده(٣). قد يكون صباها عذرًا لها، لكن ما هو عذري أنا؟! إنه يجب عليها أن تتعلم، أما أنا فيلزمني أن أعلم إنها "هي أبر مني".

إننا قد نَسُبُّ طمع الآخرين، لكن، لنتأمل إن كنا لم نطمع قط. وإن الطمع أو محبة المال أصل كل الشرور، يعمل في أجسادنا كالأفعى المخيفة في وكرها. لذلك ليقل كل منا: "هي أبر مني".

عندما نحتد بشدة على إنسان، يكون هذا العلماني أقل تهورًا مما ارتكبه الأسقف، لذلك يجب علينا أن نتمعن في الأمر، قائلين بأن ذاك الذي انتهرناه أبر منا. فإنه إذ نقول ذلك قد حفظنا أنفسنا مما قاله لنا الرب يسوع... "لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها... يا مُرائي، أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيدًا أن تخرج القذى من عين أخيك"(٤).

---

(١) سورة الإسراء: ٣٢.

(٢) سورة الفرقان: ٦٨، ٦٩.

(٣) رومية ٧: ٢٣.

(٤) متى ٧: ٣، ٥.

ليتنا إذن لا نخجل من أن نعترف بأن خطأنا أبشع من خطأ من نرى أنه مستوجب الانتهار؛ لأن هذا هو ما صنعه "يهوذا" الذي وبخ "ثامار"، فإذْ تذكَّر خطيته قال: "هي أبر مني"... لقد اتهم نفسه قبل أن يتهمه الآخرون.

رابعاً: بهذا العمل الإيماني(كذا!) (١). تأهلت "ثامار" أن تكون جدة للسيد المسيح، دمها يجري في عروقه، حتى سجل الإنجيلي متَّى اسمها في نسب السيد المسيح بينما لم يسجل اسم "سارة" ولا "رفقة" ولا غيرهما من الأمهات المباركات.

كانت "ثامار" رمزًا لجماعة الأمم التي صارت كنيسة مقدسة للرب، هذه التي كانت قبلاً بلا ثمر ك"ثامار"، أشبه بأرملة مهجورة ليس من يسندها ولا من يعينها. لم يتزوجها وليها الأول "شيلة" بل التصقت بالولي الثاني "يهوذا"... هكذا لم تلتصق جماعة الأمم بالوليّ الأول أي بالناموس الموسوي، ولا التزمت بالختان والتهود، إنما التصقت بالوليّ الثاني، أي يهوذا الحقيقي، ربنا يسوع المسيح الخارج من سبط يهوذا.

والعجيب أن تصرفات "ثامار" حملت الكثير من الرموز التي تطابق ما تمتعت به كنيسة الأمم نذكر منها:

أ. خلعت "ثامار" ثياب ترملها لكي تلتصق بـ"يهوذا"، وهكذا خلعت الأمم ثياب الإنسان القديم لتلبس الإنسان الجديد الذي يليق باتحادها مع العريس الأبدي، بل صار السيد المسيح نفسه ثوبها الجديد.

ب. غطت "ثامار" وجهها ببرقع، والأمم إذْ قبلوا الإيمان؛ يعيشون هنا كما في لغز، حتى يلتقون بالعريس وجهًا لوجه؛ فيرونه في كمال مجده وعظمة بهائه، ويتعرفون على سمو أسراره الفائقة.

ج. جلست "ثامار" في مدخل "عينايم" أي مدخل "ينبوعين"، وكأنها بكنيسة الأمم التي لم تنعم بينبوع العهد القديم وحده، بل وأيضًا بينبوع العهد الجديد معه.

د. تمتعت "ثامار" بخاتم "يهوذا" وعصابته وعصاه، أي بخاتم البنوة لله والإكليل السماوي مع خشبة الصليب المحيية.

ه. ظهر علامات الحمل بعد ثلاثة شهور، وكأنها بكنيسة الأمم التي حملت ثمارًا روحية خلال إيمانها بالثالوث القدوس(٢) وتمتعها بالحياة المقامة في المسيح يسوع الذي قام في اليوم الثالث.

خامساً: يرجح بعض الدارسين أن الزانية العادية لم تكن تتغطى ببرقع، إنما تفعل ذلك المرأة التي تنذر نفسها للزنا لحساب الآلهة خاصة "العشتاروت" إلهة القمر، تفعل ذلك لتجمع من كل رجل جدي معزي تقدمه لهيكل الآلهة. لذلك جاءت كلمة "زانية" في النص العبري "قدشه" أو قديسة أو نذيرة للآلهة.

---

(١) فلتعربدوا أيها النصارى، وانطلِقوا صانعين ما تشاؤون فإن مُخَلِّصَكم – حسب آبائكم– جاء من طريق أعمال الزنا الإيمانية؟

(٢) فثلاثة الأشهر التي ظهر خلالها الحمل ترمز إلى الثالوث الذي يؤمن به النصارى!

بفعلها احتلت "ثامار" مركز الفتاة الأممية المتعبدة للوثن لتمثل جماعة الأمم الذين انغمسوا في النجاسات، وقد التصقوا بالإيمان بـ"يهوذا" الجديد لينعموا بالحياة المقدسة الطاهرة ويكون لهم نصيب في الرب(١).

هكذا تتم فلسفة الزنا ليصبح طهرا، وتتم فلسفة العُهر ليصبح قداسة، وهكذا يهون أمر الزنا، بل يصبح – كما يرى عميان البصائر – نقطة البدء لمجيء المسيح المخلص.

إن هذه الفلسفة المتحللة الفاسدة هي التي أشعلت نار الشهوة في نفوس رجال الدين حتى لم ينج منهن طفل صغير ولا امرأة، فكشف الله ستره عنهم، وعلمت الدنيا بالتحرش الجنسي الذي مارسه رجال الدين الكاثوليك ضد الرعايا من طالبي التوبة والمغفرة من الله، وما فِعْلُ الآخرين منهم عن ذلك ببعيد(٢).

خاتمة:

في الصفحات السابقة صورتان متناقضتان عن نبي من أنبياء الله تعالى، أما واحدة فصورة مشرقة تشتمل على كرم الأصل والفرع، ونبل الطبع، وحسن السيرة، ونجومية الهداية. وأما الأخرى فاشتملت على الختل والخداع والنكران، وفساد الفرع.

لقد تبين بما لا يدع مجالا للشك، وبشهادة العهد القديم نفسه، وفي ضوء قواعد المنطق السليم، وبمقتضى موازين الإنسانية الرشيدة، امتدادُ يد التحريف إلى وحي الله تعالى الذي أنزله على موسى ﵇، فطمس أنواره، وأطفأ ألقه، ودنّس جلاله، ونسج نسجا أوهى من بيت العنكبوت، وأظلم من ظلام الظلم، وقد وجدت قوى الشر في هذا النسج وذلك الظلام منتجعا تنفث من خلاله سمومها، وتؤسس مملكة الشيطان، فقام عليها كيان فاجر في عقيدته وشريعته، استطاع أن يهيمن على أزمّة الإعلام والمال والسياسة، فصنع الزعامات الفاسدة، وأحاط نفسه بسياج من المنافقين الذين هم في صورة مدافعين عن الحقوق، وفي الحقيقة يؤمنون مصالح الكيان الآثم، ويحمونه من غضبة الشعوب.

إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أن تفقه عقيدة هذا الكيان، لتعرف كيف يفكر، وبأي عين ينظر إلينا، إن من أبناء المسلمين بل والله من المثقفين من يرددون أحقية الكيان الصهيوني في فلسطين، ومن يرون أن قوى

---

(١) موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس-http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-YacoubMalaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-38.html مرجع سابق.

(٢) وقد وصلت الفضائح أعلى المستويات في الكنيسة الكاثوليكية، وأعلن وزير خارجية الفاتيكان عن خجله مما حدث، ولكنه زاد الطين بلة حينما أعلن أن هذه التصرفات تدخل تحت دائرة المثلية في العلاقات الجنسية، ومفهوم تصريحه أنه كما تقبل أوروبا – بل أصبحت تسعى لتقنين الشذوذ بالنظر في إنشاء كنائس للشاذين، وثكنات خاصة في الجيش، والسماح في بعض الدول بالزواج المثلي – المثلية بين الأشخاص العاديين، فما حدث من رجال الدين من هذا القبيل، فهم بشر كالبشر، ولذلك ثارت ثائرة المتظاهرين على تصريحاته. أعلنت هذا قناة الجزيرة القطرية يوم الأربعاء التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر ١٤٣١هـ= ١٤/٤/٢٠١٠م.

المقاومة آثمة ومستفزة، وإبان الهجمة الشرسة على قطاع غزة والتي لم تكن الأولى وليست الآخرة، وقف مثقفون في بلادنا يجرمون غزة ومن فيها، ويرون أنهم السبب في ضياع الأرض، وأنهم السبب في المجازر الحاصلة، والنكبات المتواترة، فإذا كان هذا تفكير مسلم، فماذا ننتظر من غير المسلمين، بل ماذا ننتظر من حلفاء الكيان الصهيوني؟

إن الأمة بحاجة إلى أن تتثقف وتعرف عدوها، تعرف عقيدته، وتعرف تاريخه، وتعرف واجبها، وتقف على مسئولياتها، وتدرك أن إقصاء الدين من الصراع أكبر خطر يواجه قضايانا. وتلك الصفحات إشارة على استحياء لما ينبغي أن يعلمه المسلم عن عدوه وعقيدته ومرجعيته في تعاملاته ونظرته إلينا.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في الوصول إلى تلك الغاية، وأسأله سبحانه وتعالى أن يغفر زللي، ويستر عيبي، وأن يأخذ بيدي إليه أخذ الكرام عليه، وأن يحسن نيتي، ويحسن خاتمتي، وأن يهبني منه توفيقا وهداية وبصيرة ورشادا، هو ولي ذلك والقادر عليه، وهو المستعان، وعليه التُّكلان، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أهم المراجع

. القرآن الكريم

. الكتاب المقدس

. الإمام ابن تيمية– النبوات – ١٣٨٦هـ– المطبعة السلفية– القاهرة– مصر.

. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي– مختار الصحاح –طبعة مدققة– ١٩٨٩م–مكتبة لبنان– بيروت– لبنان.

. إبراهيم مصطفى وآخرون –الطبعة الرابعة–مكتبة الشروق الدولية– القاهرة– مصر.

. ابن منظور– لسان العرب – الطبعة الأولى–دت–دار صادر–بيروت –لبنان.

. عبد الرءوف محمد عثمان– محبة الرسول بين الاتباع والابتداع – الطبعة الأولى–١٤١٤هـ–رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– الرياض–السعودية.

. أبو هلال العسكري – معجم الفروق اللغوية.

. نُخبة من العلماء– أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة – الطبعة الأولى–١٤٢١هـ–وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد–الرياض– السعودية.

. السيد محمد رشيد رضا– الوحي المحمدي –الطبعة الثالثة مصححة صدرت سنة ١٤٠٦هـ–مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر– بيروت– لبنان.

. إسماعيل بن حماد الجوهري- الصحاح في اللغة – الطبعة الرابعة-١٩٩٠م-دار العلم للملايين- بيروت- لبنان.

. موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية-الطبعة الأولى- ١٩٧١م=١٣٩١هـ- دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان.

. صحيح البخاري -تحقيق مصطفى ديب البغا- الطبعة الثالثة- ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م-دار ابن كثير- اليمامة- بيروت.

. الإمام ابن حجر. فتح الباري -تحقيق محب الدين الخطيب-دط-دت-دار المعرفة- بيروت.

. بدر الدين العيني . عمدة القاري جـ٨ صـ١٦-دط-دت- دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

. عباس محمود العقاد- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – الطبعة الرابعة-٢٠٠٥م- دار نهضة مصر- القاهرة- مصر.

. عباس أحمد شحادي- الولاية والمفهوم الأخلاقي في نظرية الحكم الإسلامي – العدد التاسع – ربيع الثاني ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م- مجلة فصلية فكرية متخصصة- بيروت- لبنان.

. قاموس الكتاب المقدس -نخبة من أساتذة اللاهوت- تحرير د.بطرس عبد الملك وآخران- دار الثقافة- ١٩٩٤م

. محمد بيومي مهران- بنو إسرائيل -دط- ١٩٩٩م- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية-مصر.

. الإمام ابن كثير- تفسير القرآن العظيم . تحقيق سامى بن محمد سلامة- ط٢ -١٤٢٠هـ-١٩٩٩.

. أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري – مجمع الأمثال -تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد- دار المعرفة – بيروت.

. عبد الوهاب عبد السلام طويلة- الكتب المقدسة فى ميزان التوثيق -طبعة أولى-١٤١٠هـ-١٩٩٠م- دار السلام-مصر.

. عبد الوهاب عبد السلام طويلة- توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسى – عرض جديد لما أورده الإمام ابن حزم فى كتابه (الفصل فى الملل والأهواء والنحل عن توراة اليهود وبعض أسفارهم من حيث التوثيق والمغالطات – ٢٠٠٢م- دار القلم – دمشق سوريا.

. حسن الباش . الكتاب والتوراة عندما باع الحاخامات موسى ﵇ -الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م- دمشق سوريا- بيروت لبنان.

. اللواء أحمد عبد الوهاب- إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية -الطبعة الثانية- دت- مكتبة وهبة- القاهرة- مصر.

. سنن النسائى– الطبعة الثانية ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة– مكتبة المطبوعات الإسلامية– حلب – سوريا

. أنطونيوس فكري – تفسير الكتاب المقدس (سفر التكوين) – مكتبة الكتب القبطية الأرثوذكسية – الفجالة – مصر.

. أساس البلاغة لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري – تحقيق محمد باسل عيون السود– الطبعة الأولى– ١٤١٩هـ=١٩٩٨م– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان.

. تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري – خزانة الأدب وغاية الأرب – تحقيق عصام شعيتو– الطبعة الأولى–١٩٨٧م– دار ومكتبة الهلال– بيروت– لبنان.

. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج لشمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني –الطبعة الأولى– ١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م–دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان.

الفهــرس